بسم الله الرحمن الرحيم

❁ المقدمة ❁

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه اللَّه تعالىٰ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا؛ فبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في اللَّه حق جهاده حتىٰ أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلىٰ من استن بسنته، واهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام اللَّه ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة في دين اللَّه بدعة، وكل بدعة ضلالة، من يطع اللَّه ورسوله فقد رشد، ومن يعصِ اللَّه ورسوله فلن يضر اللَّهَ شيئًا ولن يضر إلا نفسه.

إن من نعم اللَّه علىٰ العبد أن يحبب إليه طلب العلم لأنه شرف في الدنيا ورفعة في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وحسب الذين أوتوا العلم فخرًا وشرفًا أن اللَّه قرن شهادتهم بشهادته، فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأحال عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، والعلماء هم الذين يستنبطون الأحكام، وَأَرَىٰ اللَّه رأيهم، فقال

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦].

وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ»(١). فلله دَرُّهُم! ما أعظم منزلتهم في الدنيا وما أعظم ثوابهم في الآخرة.

ولابد أن يتأدب طالب العلم بآداب الطلب حتىٰ يصل إلىٰ مقصوده، فإن من الناس من يبدأ في الطلب بهمة ونشاط وعزيمة، لكن تَتَخَطَّفُهُ الآفات يمنة ويسرة وتقطع عليه الطريق، ومن تبصر في أمره وتثبت وسار علىٰ هدىٰ من اللَّه ﷻ فإنه يوشك أن يَبْلُغَ.



(١) أخرجه مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء ـ باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ آداب طالب العلم ❁

○ وأول آداب طالب العلم: الإخلاص:

فإن طلب العلم عبادة، وأي عبادة! فإذا أردت يا طالب العلم أن تصفو لك نيتك في طلب العلم فتنبه لأربعة أمور:

الأمر الأول: أن تنوي بذلك امتثال أمر اللَّه تعالىٰ وأمر نبيه ﷺ، فحين تنقل الخطىٰ من مكان إلىٰ مكان، وحين تمتشق القلم وحينما تحمل بين يديك الكتاب الثقيل، وحينما تباحث وتناقش وتسأل فاعلم أنك في عبادة، واعلم أنك بذلك تمتثل أمر اللَّه تعالىٰ وأمر نبيه ﷺ.

الأمر الثاني: أن تنوي بذلك رفع الجهل عن نفسك، فما أنت يا ابن آدم إلا جملة من الظلمات كلما قَبَسْتَ قبسًا من مشكاة النبوة أضاء جانب من قلبك حتىٰ يعود قلبك كالسراج يزهر.

الأمر الثالث: أن تنوي بذلك رفع الجهل عن المسلمين، فإن من الناس من يطلب العلم لغرض المتعة والتفكه واستعراض عقول الناس وأذهان العلماء، لكن إذا نويت بطلبك للعلم أن ترفع الجهل عن المسلمين واستصحبت هذا الشعور في قيامك وقعودك وغدوك ورواحك فإنك بإذن اللَّه تُهَيِّئُ نفسك للتعليم، فتفهم ما يُلقىٰ عليك وتدركه إدراكًا جيدًا، حتىٰ إنه لو طُلِبَ منك أن تعيد تقرير ما سمعت تمكنت من ذلك أو تمكنت من أكثره. ومعلوم أن رفع الجهل عن الناس من أعظم مقاصد الشريعة وهذا لا يتأتىٰ بملء المكتبات بالكتب أو ملء الأدراج بالأشرطة أو بالأقراص المدمجة

فهذا أمر سهل، وإنما يحصل إفشاء العلم بجلوس طلبة العلم للناس؛ يبصرونهم بأمر دينهم ويجيبون علىٰ أسئلتهم، وما أحوج الناس إلىٰ العلم فإن حاجة الناس إلىٰ العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب.

الأمر الرابع: أن تنوي بذلك حفظ شريعة اللَّه، وقد تَكَفَّلَ اللَّه بذلك، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، لكن هل أنت من الحفظة أم لا؟ فَانْوِ أن تكون من هؤلاء الحفظة الذين جعلهم اللَّه ﷻ أوعية للعلم، قال ربنا ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، لم يقل في السطور بل قال في الصدور، فليكن قلبك وصدرك مستودعًا لهذا العلم.

هذا أعظم الآداب وأجلها وهو الإخلاص للَّه تعالىٰ.

○ الأدب الثاني: العزيمة على التحصيل:

أن يكون الإنسان ذا عزيمة وهمة علىٰ تحصيل العلم فلا يفتر بل يظل دؤوبًا في طلب العلم، حتىٰ وإن كان ليس من أهل التخصص حتىٰ وإن كان مشغولاً بأمور أخرىٰ! عليه أن ينتهز الفرص بثني ركبتيه في حلق العلم وإرخاء أذنيه لسماع العلم وفتح عينيه للقراءة في الكتب النافعة(١)، فليكن هذا مشروعك في الحياة إلىٰ

(١) قال الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ: والقراءة هي أحد طرائق تحصيل العلم ولا ريب، ولكن قيل: من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه؛ لأن الذي يقرأ لنفسه وعلىٰ نفسه تغيب عنه أمور كثيرة، فالذي ينبغي لطالب العلم أن يجمع بين الحُسْنَيَيْنِ: أن يثني ركبتيه في حلق العلم ويستمع من المشايخ؛ لأنهم يعطونه عُصَارَةَ تجاربهم، وطريقة فهمهم، وما أخذوه عمن سبقهم مما لا يُكْتَبُ كِتَابَةً ولا يُنَالُ بمجرد القراءة، =

جانب مصالحك الأخرىٰ.

○ الأدب الثالث: حسن الخلق:

لا بد لطالب العلم أن يتحلىٰ بالأخلاق الكريمة الحسنة التي يعاشر بها الخَلْقَ؛ فإن طالب العلم إذا كان فظًّا غليظ القلب مشاكسًا شرسًا انفض الناس من حوله ولم ينتفعوا بعلمه، وإذا كان هينًا لينًا فإن اللَّه تعالىٰ يجعل له القبول وينتفع به الناس.

○ الأدب الرابع: البعد عن اللغط الضوضاء والقيل والقال والشغب والخوض فيما لا طائل من ورائه:

فإن بعض من طلبة العلم إذا أَلَمَّ بطرف من العلم صار يرخي سمعه لفلان وعلان وأن فلانًا أخطأ وأن فلانًا رد عليه وأن فلانًا رد علىٰ الرد ثم اشتغل بهذا الأمر وانصرف عن المقاصد الأساسية، وعن علوم الكتاب والسنة إلىٰ هذه المنعطفات الجانبية في الطريق، فلا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ، فكن يا طالب العلم عَفَّ اللسان سليم الصدر لإخوانك المسلمين، واحفظ سمعك وبصرك وفكرك من أن تقترف أو تجترح أمرًا لا تفرح به في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقد يسر اللَّهُ تعالىٰ شرح كتاب «أصول العقائد الدينية» للشيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد توفر علىٰ تفريغه والعناية به الأخ الشيخ/ طلال فالح الهلفي جزاه اللَّه خيرًا، ثم قمت

= ويضم إلىٰ ذلك أن يقرأ هو بخاصة نفسه أو يسمع أيضًا من المحفوظات الصوتية فإذا جمع بينهما حصل المقصود.

بمـراجعته وتهيئـته للنـشر العـام، أسـأل اللَّه تعالـىٰ أن يـجعـل هـذا العمل خالـصًا لـوجه، نافعًا لعـباده، وأن يـتغمد الـشيـخ عبـد الرحمن السعدي بواسع رحمته؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❁ ترجمة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ❁

هو الشيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر بن عبد اللَّه السعدي التميمي الناصري أبو عبد اللَّه.

ولد سنة ١٣٠٧هـ، ونشأ يتيمًا، فقد تُوفِي أبوه ثم تُوفيت أمه ولما يبلغ الحنث، فكفله عمه ورباه تربية حسنة، ونشأ نشأة صالحة.

ثم حُبب إليه طلب العلم فطلب العلم علىٰ علماء بلده وكان من أشهر مشايخه:

١ ـ الشيخ الجد: صالح بن عثمان القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أخذ عنه التفسير والفقه والحديث وسائر الفنون الشرعية.

٢ ـ الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ الشيخ محمد الأمين بن محمود الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد انتفع به علوم الآلة وفي طريقة التدريس، وقد وفد إلىٰ عنيزة وأقام بضع سنين.

٤ ـ الشيخ علي بن ناصر أبو وادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي رحل إلىٰ بلاد الهند وأتىٰ بإجازات حديثيه في كتب السنن والصحاح والمسانيد حيث التقىٰ بكبار علماء الهند في الحديث في ذلك الزمان وهما صديق حسن خَان القَنْوَجِي، والشيخ نذير حسين فأخذ عنهم بالسماع المتصل إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وقد أجاز جمع من طلبة العلم في بلدته منهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قعد للتدريس منذ عام ١٣٣٥هـ تقريبًا في حياة شيخه الشيخ

صالح، فلما توفي الشيخ صالح آل إليه أمر العلم فبقي يدرس في الجامع الكبير، إلىٰ أن تولىٰ الخطابة سنة ١٣٦١هـ، وظل علىٰ ذلك إلىٰ أن تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٧٦هـ، عن قُرابة ٦٩ سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

وقد امتاز الشيخ عبد الرَّحمٰن بثلاث صفات:

الصفة الأولى: سعة العلم: فهو عالم مشارك في جميع العلوم، لا تكاد تجد فنًّا من الفنون إلا وقد صنف فيه، ففي التفسير صنف أول تفسير نجدي، وهو: «تيسير الكريم الرَّحمٰن في تفسير كلام المنان»، سار فيه علىٰ طريقة السلف الصالح. وألف في الحديث فشرح أحاديث النبي ﷺ ومن ذلك كتابه «قرة عيون الأخيار» شرح فيه تسعة وتسعين حديثًا، وفي الفقه له مؤلفات يطول عدها، وفي التوحيد والعقائد له مؤلفات وحواشي وتعليقات كتعليقاته علىٰ الواسطية، وتعليقاته علىٰ الشافية الكافية لابن القيم، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا «أصول العقائد الدينية»، وغيرها، وله مجموعة من الفتاوىٰ مطبوعة في مجلد باسم الفتاوىٰ السعدية، وكتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تزيد علىٰ أربعين مؤلفًا، لم يظهر بعضها حتىٰ الآن، و هذا الكتاب الذي بين أيدينا مثال، لم يطبع إلا من فترة قريبة، ومن كنوزه التي لم تظهر حتىٰ الآن شرح له وتعليق علىٰ منظومة ابن عبد القوي في الفقه، وهي منظومة تبلغ قرابة ستة آلاف بيت في أولها له تعليقات جياد ثم بعد ذلك قلت تعليقاته، ولم تطبع بعد.

الصفة الثانية: سعة الخلق: فقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية في دماثة الخلق وحسن معاشرة الخلق ورعايتهم وملاطفتهم وتفقد أحوالهم والسعي علىٰ الأرملة والمسكين وملاطفة اليتيم، وله في ذلك نوادر تُطَيَّبُ بها المجالس.

الصفة الثالثة: سعة الأفق: فقد كان واسع الأفق مع أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاش في بلاد نجد، وكانت نجد بلادًا مغلقة في ذلك الحين، صلتها بالعالم الخارجي ضعيفة، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تخطىٰ الحدود، فكان يراسل علماء الأمصار؛ كان يكاتب محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، ومحب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح وغيرهما من علماء الأمصار ويكاتبونه، ويقرأ مجلة المنار ومجلة الفتح، وكانت له عناية واطلاع بأمور العالم من حوله، وقد حدثني أحد فضلاء طلبة العلم: إنه لقي مستشرقًا ألمانيًا قدم إلىٰ الرياض وكان يُعِدُّ رسالة علمية في علماء نجد، وأخبره أنه قرأ جميع مؤلفات الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه معجب به، بسعة فقه واطلاعه علىٰ الأحوال ونظرته المستقبلية.

فنسأل اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر للشيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السعدي وأن يكتب آثاره وأن ينفع بعلومه.

أما هذا الكتاب الذي بين أيدينا «**أصول العقائد الدينية**» فهو اسم علىٰ مسمىٰ، حيث إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد به الاختصار والاقتصار علىٰ أصول العقائد، وجعلها خمسة أصول:

أحدها: يتعلق بالتوحيد.

والثاني: بالنبوة.

والثالث: بالإيمان باليوم الآخر.

والرابع: في مسألة الإيمان.

والخامس: في طريقة أهل السنة والجماعة في العلم والعمل.

ولا شك أن هذه الأصول أصول معتبرة؛ دل عليها ناطق الكتاب

وصحيح السنة، فإن مدار العقائد الدينية علىٰ هذه الأشياء لاسيما الثلاثة الأول منها وهي الإيمان باللَّه والإيمان بالأنبياء والإيمان باليوم الآخر، ثم ما يتصل بذلك من العمل الصالح وسلوك الطريق المستقيم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ دومًا يشير إلىٰ هذه الأصول، فمن ذلك ما قال في مجموع الفتاوىٰ: فَعُلِمَ أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة... إلىٰ أن قال: فهذه الأصول الثلاثة توحيد اللَّه والإيمان برسله وباليوم الآخر هي أمور متلازمة، والحاصل أن توحيد اللَّه والإيمان برسله واليوم الآخر هي أمور متلازمة مع العمل الصالح)[1]، فتبين بذلك أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هُدي إلىٰ هذا الأمر وإلىٰ الأصول الحقيقية للعقائد الدينية.



(١) مجموع الفتاوىٰ (٩ـ ٢٩ ـ ٣٢).

❁ مقدمة أصول العقائد ❁

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه وأتباعه إلىٰ يوم الدين أما بعد، فهذا مختصر جدًا في أصول العقائد الدينية والأصول الكبيرة المهمة اقتصرنا فيه علىٰ مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها أقرب ما يكون لها أنها من نوع الفهرس للمسائل لِتُعْرَفَ أصولها ومقامها ومحلها من الدين.

هذه خطبة الكتاب ابتدأ فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحمدلة والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله وصحبه وأتباعه إلىٰ يوم الدين.

فالحمد: هو ذكر المحمود بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة مع المحبة والتعظيم والإجلال. وبعض الناس يفسر الحمد بأنه الثناء، وهذا ليس صوابًا، فالحمد يكون ثناءً إذا تكرر، والدليل علىٰ ذلك حديث الفاتحة؛ الذي قال فيه النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ «**قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة] **قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة] **قَالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي**»[1]، فصار الحمد ثناءً لما تكرر.

ولو لم نقل في التعريف مع المحبة والتعظيم والإجلال لصار الحمد بمعنىٰ المدح، والفرق بين الحمد والمدح، أن الحمد يكون مصحوبًا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، أما المدح فلا يلزم فيه ذلك.

معنىٰ الحمد عرفًا، فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، فليس معناها، كما يظن بعض الناس، الشكر للَّه؛ بل هي أوسع من ذلك، فمعنىٰ الحمد هو وصف اللَّه ﷿ بما ينبغي له من صفات الكمال والجلال والجمال مع المحبة والتعظيم ولهٰذا كانت (**والحمد للَّه تملأ الميزان**)[١].

(**رب العالمين**) والعالمون: كل من سوىٰ اللَّه.

الصلاة في اللغة معناها: الدعاء، كما قال اللَّه ﷿: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي ادْعُ لهم.

قال الأعشىٰ ـ الشاعر الجاهلي ـ مخاطبًا ابنته:

تقول بنيتي وقد قرَّبت مرتحلًا

يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليكِ مثل الذي صليتِ فاغتمضي

جنبًا فإن لجنب المرء مضطجعا[٢]

أي عليك مثل ما دعوتِ.

وأما الصلاة من اللَّه علىٰ رسوله التي ندعو بها لنبينا ﷺ فأحسن ما قيل في تعريفها ما رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاة اللَّه ثناؤه عليه عند الملائكة[٣]، فإذا قلت: اللهم صلِّ علىٰ محمد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء (٢٢٣).

(٢) نهاية الأرب في فنون الآدب (٥/ ٥١) الكتب العلمية بيروت.

(٣) صحيح البخاري، باب قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ =

كأنما تَسأل ربك أن يذكر نبيه في الملأ الأعلىٰ بالذكر الحسن.

(والسلام) السلام معناه في الأصل التحية أو الدعاء بالسلامة من الآفات والنقص، فمعنىٰ سلامك علىٰ النبي ﷺ، في حياته الدعاء له بالسلامة في ذاته الشريفة ﷺ من أن يصيبه سوء، وأما بعد مماته فهو دعاء أن يحفظ اللَّه سنته وهديه وطريقته من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان.

أما الصلاة علىٰ آحاد الناس فهي دعاء لهم بالصلة والرحمة، كما قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِىٰ أَوْفَىٰ**»[(١)]، لما قبض صدقتهم.

(وآله وصحبه وأتباعه)، قال الإمام أحمد في معنىٰ الآل: هم أتباعه علىٰ دينه[(٢)]،لأنها مأخوذة من الأَوْلِ وهو الرجوع، فإذا قلت هذا يؤول إلىٰ هذا يعني يرجع إليه، وإذا قرنوا بالصحب، فالمقصود أتباعه علىٰ دينه، من غير الصحابة، لكن إذا قرنوا بالأتباع كما في هذه الخطبة: وآله وصحبه وأتباعه، فتحمل علىٰ المؤمنين من أهل بيته.

و«صحبه»: جمع صاحب؛ كما يقال: رَكْب جمع راكب.

وأما في الاصطلاح فالصحابي: هو من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك[(٣)]، فلو رآه في المنام لم يثبت له وصف

= ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ـ باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (١٤٩٨)، ومسلم في كتاب الزكاة ـ باب الدعاء لمن أتىٰ بصدقة (١٠٧٨)، من حديث عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

(٢) انظر التحبير شرح التحرير (١/٩٣)، جلاء الإفهام (٢٢٠).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/٣٥٣).

الصحبة، ولو لم يلقه إلا بعد موته وقبل دفنه، وهذا لا ينطبق إلا علىٰ شخص واحد، وهو أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد، أسلم علىٰ عهد النبي ﷺ ولم يره، وقدم المدينة يوم وفاته ﷺ فرآه بعيني رأسه مُسَجًّىٰ بعد موته[١].

ولو لقيه حال كفره ثم أسلم بعد ذلك لم يثبت له وصف الصحبة، ولو لقيه مؤمناً به، ثم ارتد عن الإسلام لزال عنه وصف الصحبة، فإن رجع إلىٰ الإسلام فالصحيح أن وصف الصحبة يرجع إليه.

(**إلىٰ يوم الدين**): يوم الدين هو يوم القيامة، وإنما سُمي بهذا الاسم لأنه يُدَان فيه الناس بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

(**أما بعد**): هذه الكلمة يؤتىٰ بها للدخول في صلب الموضوع، وليس كما يقول بعض الشراح: للانتقال من أسلوب إلىٰ آخر!، لأنه لو كان كذلك لصار الإنسان كلما انتهىٰ من مسألة قال: أما بعد، فالصحيح أنه يُؤْتَىٰ بها في الخُطَبِ وفي المكاتبات للدخول في صلب الموضوع، ومعناها: مهما يكن من شيء.

(**فهذا مختصر جدًّا**): الفاء وقعت في جواب الشرط، والإتيان بها من الفصاحة.

والاختصار: هو الإيجاز. قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الصِّحَاحِ):

---

(١) أبو ذؤيب الهذلي، شاعر مشهور، قدم المدينة يوم وفاته ﷺ، فشهد السقيفة، وبيعة أبي بكر، والصلاة علىٰ النبي ﷺ ودفنه، قال ابن كثير: توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٣/٣٥٨)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٢٤٥)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصىٰ (١/١٤٥).

اختصار الكلام إيجازه[١].

وأما التلخيص: فهو التبيين والشرح.

وقد أشار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما يأتي ذكره بعد خطبة الكتاب أنه مختصر، بل ومختصر جدًا، ومع ذلك فقد ذكر الشيخ فيه طرفًا صالحًا من مهمات العقائد.

(**في أصول العقائد الدينية والأصول الكبيرة المهمة**): الأصول جمع أصل وهو ما يبنىٰ عليه غيره. كما يقال: أصل الجدار، وأصل الشجرة، ويقابل الأصل الفرع.

والعقائد جمع عقيدة، والعقيدة لغة: مشتقة من العقد، وهو الربط والحزم والتوثيق، تقول عقدت الحبل، يعني أدخلت طرفه في طرفه ثم شددته.

وأما تعريف العقيدة في الاصطلاح: فهي حكم الذهن الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك، إذًا فهذه الأمور المستقرة في قلوبنا من الإيمان باللَّه عَزَّ وَجَلَّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره نسميها عقائد، لأننا نعقد عليها قلوبنا ونوثقها، وقد عبر بهذا التعبير جمع من السلف في كتبهم؛ فسموا جملة الأمور الإيمانية عقائد، كالإمام اللَّالَكَائِي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمىٰ كتابه: (شرح أصول

---

(١) الصحاح (٣/٢٠٩).

(٢) هبة اللَّه بن الحسن بن منصور الطبري الرازيّ، أبو القاسم اللالكائي: حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. من أهل طبرستان. استوطن بغداد. قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة، وعاجلته المنية، خرج إلىٰ الدينور، فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة (٤١٨هـ)، له «شرح السنّة» وكتاب في «السنن» «حجج أصول أهل السنة والجماعة» =

اعتقاد أهل السنة والجماعة).

(اقتصرنا فيها علىٰ مجرد الإشارة والتنبيه من غير بسط للكلام ولا ذكر أدلتها): ينبغي لكل مصنف حتىٰ يَسْلَمَ من اللوم والتعقب والاستدراك أن يبين طريقته وخطته، فإذا أراد أن يتوسع بين ذلك، وإذا أراد أن يختصر بين ذلك، حتىٰ يكون القارئ علىٰ بينة، وقد ذكر **أمرين**:

أحدهما: أنه لم يقصد الشرح والبسط والتطويل.

الثاني: أنه لم يقرن ذلك بالأدلة.

وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد أن تكون سهلة للحفظ؛ لأنها إذا كانت مختصرة قليلة الألفاظ سهل حفظها، وإذا حفظت تمكن الطالب من استدعائها في أي وقت شاء.

والحفظ ضروري لطالب العلم فإنه لا يبقىٰ مع طالب العلم إلا ما حفظ، وكان شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يقول: ما بقي لنا إلا ما حفظناه، وأما ما سوىٰ ذلك فإنه يذهب، فإذا أُورِدَتْ علىٰ طالب العلم مسألة وهو مثلاً قد حفظ (زاد المستقنع) أو (عمدة الأحكام) أو غير ذلك من المتون، استذكر الحكم في هذه المسألة ودليلها.

(أقرب ما يكون لها أنها من نوع الفهرس للمسائل): كلمة الفهرس كلمة أعجمية، والمراد بها مسرد الموضوعات التي تثبت في ذيل الكتاب، يتضمن عناوين الكتاب ومباحثه وموضوعاته.

(لتعرف أصولها ومقامها ومحلها من الدين) هذا هو المقصود.

= و«أسماء رجال الصحيحين» و«كرامات أولياء اللَّه» ـ انظر سير أعلام النبلاء (٣٣/٤١٢)، الأعلام (٨/٧١).

(ثم من له رغبة في العلم يتطلب بسطها وبراهينها من أماكنها) أشار إلىٰ أن من شاء أن يتوسع ويزداد بيانًا أمكنه ذلك بالرجوع إلىٰ مظانها، ومعلوم أنه ما من فن من الفنون إلا وفيه مصنف مختصر، ومتوسط، ومطول.

والعلم: هو إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا، فإن لم يدركه فهو جهلٌ بسيطٌ، وإن أدركه خلاف ما هو عليه فهو جهلٌ مركبٌ، والجهل المركب أشد من الجهل البسيط. فإذا أدرك الشيء مع احتمال ضِدٍ مرجوح، فهو (ظن)، فإذا أدرك الشيء مع احتمال ضِدٍ راجح فهو (وهم)، وإذا أدرك الشيء مع احتمال ضِدٍ مساوٍ فهو (شك)، هذه مراتب الإدراك.

وليعلم طالب العلم أنه لابد له من التدرج في طلب العلم؛ لأن العلم يُنال شيئًا فشيئًا، كما أن البدن ينمو شيئًا فشيئًا، وكما أن النبات ينمو شيئًا فشيئًا، فكذلك العلم، لا ينال في يوم وليلة أو شهر أو شهرين أو سنة أو سنتين. ولا يزال طالب العلم يستكثر منه فإذا ظن أنه حاز العلم فقد جَهِلَ، لكن علىٰ الإنسان أن يرىٰ في نفسه أنه طالب علم حتىٰ وهو في سكرات الموت، وقد وقع ذلك لبعض السلف، كان يحتضر فسمع حديثًا فأمر بتقييده.

فالعلم وظيفة العمر، ولابد من التدرج في الطلب فإذا أردت طلب العلم فابدأ بالأيسر والأسهل حتىٰ إذا أحطت به وتبينته واستقر في ذهنك ولهج به لسانك فانتقل إلىٰ ما هو أعلىٰ منه، ولا تدخل في الخلافيات، ثم إذا أحطت به وضبطت أصول المسائل وعرفتها فلا حرج بعد ذلك أن تَطَّلِعَ علىٰ الخلاف حتىٰ تتسع مداركك.

ولابد من البداءة بالأهم ثم المهم فيبدأ بتعلم ما هو فرض عين، ثم ما هو فرض كفاية، ثم ما هو من باب النوافل والمستحبات، هذا من الحكمة في طلب العلم. وقد تجد بعض المتعالمين يقتل مسألة من المسائل الفقهية الفرعية بحثاً؛ هل ينزل المصلي علىٰ ركبتيه قبل يديه؟ أم ينزل علىٰ يديه قبل ركبتيه؟ ويناطح وينازع ويناظر فيها ولا علم له بمسائل كبار من مسائل الدين سواء في الاعتقاد أو في الفقه، فهذا نوع من طيش الميزان واضطرابه فعليك أن تُقَدِّمَ الأهم ثم المهم.

وعلىٰ طالب العلم أن يكون مواظبًا علىٰ متن معين حتىٰ يتمه، ولا يكون كهيئة المتذوق يبدأ بالشيء ثم يدعه، وينتقل إلىٰ غيره، ثم يمل فيذهب إلىٰ متنٍ آخر، هذا لا يُحَصِّلُ شيئًا. فمن أراد أن يحصل العلم فليصبر وليَثْبُتْ وليُبْعِدْ عنه الواردات والمُثَبِّطَات حتىٰ يصل إلىٰ مقصوده.

وينبغي لطالب العلم أن يحرص علىٰ تحرير كل مسألة تَعْرِضُ له، ولا يؤجل، فإنه إذا أجَّل تراكمت، حتىٰ يَنُوءَ بالحمل فيلقيه، فلا تتجاوز مسألة إلا وقد فهمتها فهمًا رائقًا ثم انتقل بعد ذلك إلىٰ غيرها.

(وإن يسر اللَّه وفسح في الأجل بسطت هذه المطالب ووضحتها بأدلتها): رجا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الرجاء، لكن لم يُتَحْ له أن يشرح هذه الأصول، وإن كان قد فعله في كتب أخرىٰ، فقد شرح الكافية الشافية لابن القيم وكتب في أصول الدين في مواضع أخرىٰ.

❁ ❁ ❁

❁ الأصل الأول: التوحيد ❁

○ قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأصل الأول: التوحيد، حد التوحيد الجامع لأنواعه هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد اللَّه بصفات الكمال وإفراده بأنواع العبادة).

التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدًا أي جَعْلُ الشيء واحدًا[١]، والمراد هنا: أي اعْتَقَدَهُ واحدًا، فذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدًا جامعًا لأنواع التوحيد، يفيد أن التوحيد ينقسم إلىٰ قسمين:

أحدهما: توحيد المعرفة والإثبات: ويسمىٰ: التوحيد العلمي؛ وذلك لتعلقه باعتقاد القلب المُعَبَّرِ عنه باللسان، ويدل علىٰ هذا النوع سورة الإخلاص، قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص]، وسُمِّي علميًّا؛ لأن مضمونه العلم والمعرفة والإثبات.

الثاني: توحيد القصد والطلب: ويسمىٰ التوحيد العملي؛ لأنه متعلق بأعمال الجوارح وأعمال القلب، وعليه تدل سورة الكافرون، قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون]، ويسمىٰ أيضًا توحيد العبادة. فيجب علىٰ الناس أن يوحدوا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أي يعتقدوه واحدًا في قلوبهم، في إثبات الكمال له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وأن يوحدوه بأعمالهم وجوارحهم وما تتلفظ به ألسنتهم وبما يتقربون به إليه من أنواع العبادة.

---

(١) لسان العرب (مادة: وحد ٣/٤٤٦).

وهذا التقسيم لا ينافي التقسيم الآخر وهو أن التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، لأن التقسيم الثلاثي داخل في التقسيم الثنائي، فتوحيد المعرفة والإثبات يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وأما توحيد الألوهية فهو توحيد العبادة الذي هو توحيد القصد والطلب، وعلىٰ هذا فإنه لا بأس أن يقال: التوحيد ثلاثة أنواع أو أن يقال: التوحيد قسمان؛ فكل ذلك تقريب للعلم لطالب العلم، ونبينا ﷺ لم يقل في حديث اعلموا أن التوحيد قسمان، ولم يقل اعلموا أن التوحيد ثلاثة أنواع، لكن عرفنا هذا بالتتبع والاستقراء، لأن من المبتدعة من يشغب علىٰ أهل السنة والجماعة ويقول لهم من أين لكم هذا؟ والجواب أن نقول: إن هذا يُعلم بالتتبع والاستقراء، فلم يقل النبي ﷺ مثلاً أركان الصلاة اثنا عشر ركنًا، ولا قال واجبات الصلاة سبع لكن علمنا هذا بالتتبع والاستقراء والنظر، فلا حرج أن يقوم العلماء بتقسيم الأمور العلمية تقسيمًا فنيًا ليقربوها إلىٰ أذهان طلبة العلم، وليس من البدعة في شيء.



❁ أنواع التوحيد ❁

شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أنواع التوحيد علىٰ سبيل التفصيل، فابتدأ بتوحيد الربوبية.

○ **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فدخل في هذا توحيد الربوبية؛ الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق والرزق وأنواع التدبير).

○ توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية: هو أن يعتقد المؤمن أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُتَوَحِّدٌ في الخلق فلا خالق سواه، متوحد في الملك فلا مالك سواه، متوحد في الرَّزْقِ فلا رازق سواه، متوحد في التدبير فلا مدبر سواه، أي أنه يوحد اللَّه تعالىٰ بأفعاله من الخلق والملك والتدبير، وهذه الثلاثة: الخلق والملك والتدبير عليها مدار الربوبية، والرب هو الذي يربي الخلق بِنِعَمِهِ أي يَغْذُوهُمْ بها شيئًا فشيئًا.

فاللَّه تعالىٰ هو الخالق فلا خالق سواه، وقد دل علىٰ ذلك أدلة لا حصر لها، من ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ونحوها.

فإن قال قائل: أليس اللَّه تعالىٰ قد قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤]، فقد أثبت الخلق لغيره؟!

فالجواب: أن الخلق المضاف إلىٰ غير اللَّه ليس هو الخلق الذي

بمعنىٰ الإنشاء من العدم وإنما معناه التشكيل والتصوير، فلا ينشئ من العدم إلا اللَّه ﷻ؛ ولهذا لما وفد جبير بن مطعم إلىٰ النبي ﷺ في فداء أسرىٰ بدر قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات]، قَالَ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»(1)؛ وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي(2)، أما ما يفعله بعض الناس يعمد إلىٰ شجرة فيقطعها ويأخذ أغصانها ويهذبها ويضم بعضها إلىٰ بعض فيصنع من ذلك كرسيًا أو غير ذلك فهذا ليس إنشاءً من العدم وإنما هو تجميع وتشكيل وتصوير.

واللَّه المالك فلا مالك سواه، ومن أدلة ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، ومن ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

فإن قال قائل: أليس اللَّه تعالىٰ أثبت لبعض الناس مِلْكًا؛ فقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، وأتىٰ بلام التمليك في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وقوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢]، وكل هذه اللامات لامات تمليك.

فالجواب: أن هذا المِلك مِلك مؤقت وليس مِلكًا ثابتًا، بل يزول، ولهذا إذا مات ابن آدم انتقل هذا المال إلىٰ ورثته ولم يبق محبوسًا عليه بعد موته، إلىٰ أن يؤول إلىٰ اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم]، ولو هم إنسان أن يعبث بممتلكاته عبثًا لا

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٥٤).
(٢) صحيح البخاري (٤٠٢٣).

يسوغ كما لو أراد أن يحرق نقوده، لم نمكنه من ذلك، بل نضرب علىٰ يده ونحجر عليه؛ لأنه سفيه.

واللَّه تعالىٰ هو الرازق فلا رازق سواه، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وأما ما يبدر من بعض الناس من الإعطاء فإنما يُعْطِي من ملك اللَّه لا يعطي من ملكه ابتداءً فالملك للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

واللَّه المدبر ولا مدبر سواه، ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، والدليل علىٰ أن اللَّه هو المدبر قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فاللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأمر وينهىٰ ويرفع ويخفض ويقبض ويبسط له الأمر والتدبير، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١].

فإن قال قائل: أليس غير اللَّه يدبر؟ كما في قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٣]، فأثبت لغيره مشيئة؟

فالجواب: أن هذه المشيئة وهذا التدبير محكوم بتدبير اللَّه ومشيئته، فإذا وافق تدبير الرب تدبير العبد حصل مراد العبد، وإلا فلا سبيل إلىٰ صيرورته، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير]، فأثبت لهم مشيئة، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

وهذا النوع من أنواع التوحيد مغروس في الفطر قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، بل حتىٰ الحيوانات العجماوات، والطيور السارحات، والأسماك في البحار والمحيطات، والحشرات وسائر المخلوقات، مفطورة علىٰ الإيمان بوجوده وربوبيته، فما من

موجود، إلا وفي فطرته الإيمان بوجود خالقه.

ولهذا قال نبينا ﷺ في الحديث الصحيح: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِه»(١)، ولم يقل: أو يُأَسلمانه لأن الفطرة هي الإسلام.

وفي الحديث الصحيح القدسي: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»(٢)، ولم ينكر هذا النوع من التوحيد، إلا الشواذ من الملحدين الذين يقولون ما لا يعتقدون، وهم أصناف:

(١) الدهرية: الذين ذكرهم اللَّه تعالىٰ بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] قال قائلهم: أرحام تدفع، وأرضٌ تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، فنسبوا الأشياء إلىٰ الدهر، وقد رد اللَّه عليهم بقوله تعالىٰ ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

(٢) الطبائعيون: القائلون بأن العالم وجد بفعل (الطبيعة)، أي أن ذوات الأشياء؛ من نبات أو حيوان، أو جماد، وخصائصها، أوجدت نفسها، وحركاتها! وإذا قيل لهم ما الطبيعة؟ قالوا: الطبيعة هي هذه الأشياء الموجودة، ومقتضىٰ ذلك أن تكون الطبيعة هي التي خلقت الطبيعة، وهذا لا يقوله عاقل!.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز ـ باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، مسلم ـ كتاب القدر ـ باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

(٣) **الصُّدَفيون**: القائلون بأن الكائنات نشأت عن طريق المصادفة المحضة، بمعنىٰ أن تجمع الذرات، والجزيئات، أدىٰ عن طريق الصدفة إلىٰ ظهور الحياة.

وهاتان نظريتان فلسفيتان كفريتان إلحاديتان[1]، صدرت بسبب كبرٍ في نفوسهم ما هم ببالغيه، ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وقد نسف اللَّه ﷻ هاتين النظريتين بجملتين من كتابه فقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور] فقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ نسفٌ لنظرية الصدفة؛ لأن أي شيء لا يوجد من غير شيء، فالعدم لا ينشئ وجودًا، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ نسف لنظرية الطبيعة؛ لأن الشيء لا يوجد نفسه بنفسه، فهذا يلزم منه الدور، فإذًا لا هذا ولا هذا، فتعين أن يكون الخالق الموجد هو اللَّه ﷯.

ولو قيل لأحدهم بينما أنا أسير في البرية في صحراء دوية، ظهر فجأة قصرٌ مشيد تحيط به حدائق غناء، وأنهار سارحة، لقال لعلك جننت، هذا لا يمكن أن يقع فجأة، هذا لا بد له من أدوات ومعدات وبناة... إلخ.

فيا للعجب! كيف يتصور أن هذا البناء السماوي، وهذه الأرض الممهدة، السماء بأفلاكها وأجرامها، والأرض بأنهارها، وجبالها، ووديانها، وأشجارها، توجد صدفة؟!

(٤) **الملاحدة الشيوعيون**: القائلون: لا إله، والحياة مادة. ومؤسس مذهبهم يهوديٌ يقال له كارل ماركس، وقد أسس أتباعه

---

(١) المقصود: نظرية الطبيعة، الصدفة.

علىٰ نظريته الكفرية هذه دولة، وهي الاتحاد السوفيتي، إلا أنها لم تعمر أكثر من سبعين عاما؛ لأنها قامت علىٰ شفا جرفٍ هار، فلا يمكن لمثل هذا أن يدوم.

(٥) أفرادٌ شواذ علىٰ مر التاريخ: كفرعون الذي قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ۝٢٩﴾ [الشعراء]، والنمرود الذي لقيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال له ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، فادعىٰ أنه يحيي ويميت، ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فدعا بأسيرين وقتل أحدهما وأطلق الآخر، وقال: أحييت هذا، وأمت هذا، ولكن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يجاره في هذه المغالطة اللفظية، وأتىٰ له بدليل لا يمكن رده، فقال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

أما من أقروا بالربوبية ووقع منهم شرك فيها فأصناف أيضًا:

- **المجوس الثَّنَوِيَّة:** يعتقدون بِخَالِقَيْنِ اثنين، يقولون: إله النور خلق الخير وإله الظلمة خلق الشر، فأثبتوا خَالِقَيْنِ ومع ذلك فإنهم يجعلون إله النور خيرًا من إله الظلمة، ويعتقدون الظلمة حادثة.

- **الرومان واليونان:** يجعلون إلهًا لكل مِرْفَقٍ من مَرَافِقِ الحياة، فيقولون هذا إله الحرب، وهذا إله الزرع، وهذا إله الحصاد، وهذا إله الحب، فهؤلاء مشركون في الربوبية. كما في أدبياتهم ورسوماتهم وأيقوناتهم.

- **النصارى:** القائلون بمقالة التثليث، فأثبتوا ثلاثة أرباب، لكنهم لم يبثوها منفصلة، بل جعلوها (أقانيم) وعدُّوها إلهًا واحداً!، لذلك قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

ـ **طائفة القدرية**: القائلون: (العبد يخلق فعل نفسه)، فليس اللَّه ﷻ ـ في زعمهم ـ هو الخالق لأفعال الإنسان من الطاعات والمعاصي، فكأنهم أثبتوا عِدَّةَ خالِقِينَ مع اللَّه ﷻ.

فتبين أن المخالفين في توحيد الربوبية صنفان:

- قوم أنكروا أصل الربوبية.
- وقوم أثبتوه لكنهم أشركوا مع اللَّه غيره.

وأما ما جاءت به الرسل فهو إثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ في خلقه وملكه وتدبيره.

وتوحيد الربوبية هو الباب والمدخل لتوحيد الألوهية، فإن الإنسان إذا امتلأ قلبه بأن اللَّه ﷻ هو الخالق المالك المدبر أدىٰ به ذلك إلىٰ أن يُفْرِدَهُ بالعبادة.



❁ توحيد الأسماء والصفات ❁

وبعد أن ذكر الشيخ توحيد الربوبية ذكر توحيد الأسماء والصفات؛ وذلك لأن هذين التوحيدين يندرجان تحت توحيد المعرفة والإثبات.

○ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهو إثبات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا).

تعرف اللَّهُ سبحانه إلىٰ عباده بجملة من الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلا حتىٰ يتمكن العباد من عبادته كما ينبغي له سبحانه، وحتىٰ تتعلق قلوبهم به محبة وخوفًا ورجاءً، ولو أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يخبرنا عن نفسه ولم يُسَمِّ لنا نفسه ولم يذكر لنا شيئًا من صفاته ما تمكنا من عبادته.

ومن أدلة ذلك: قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، وقوله أيضًا في آخر سورة الحشر: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر]، وقوله في سورة طه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وأسماء اللَّه تعالىٰ غير محصورة بعدد والدليل علىٰ ذلك حديث دعاء الكرب فإن فيه: «**اللَّهُمَّ إني عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسم هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ**

خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي...»[١].

ففي قوله: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»، دليل علىٰ أن للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسماء لا نعلمها.

فإن قال قائل: أليس رسول اللَّه ﷺ بين أن عدد الأسماء الحسنىٰ تسعة وتسعين كما روىٰ الإمام البخاري في مواضع من «صحيحه» وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ للَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٢].

فالجواب: إن هذا لا يدل علىٰ الحصر كما لو قلت: عندي مائة ريال أعددتها للصدقة، فلا يدل ذلك أن ليس عندك غيرها، ولكن يدل أن هذا العدد يمكن أن يبلغه علمنا بأن نستنبطها من نصوص الكتاب والسنة؛ لأن أسماء اللَّه تعالىٰ **تَوْقِيفِيَّةٌ**؛ نقف فيها عند موارد النصوص، لا نتعدىٰ الكتاب والسنة، ولا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يخترع أو يبتدع أو يقترح اسمًا للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هو يسمي نفسه و يُعْلِمُ نبيه ﷺ بالأسماء الحسنىٰ.

ومعنىٰ الحسنىٰ: التي بلغت في الحسن غايته، وحسنىٰ من فُعْلَىٰ، صيغة مبالغة، فإن كل ما سمىٰ به الرب نفسه قد بلغ في بابه أعلىٰ ما

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩١)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط - باب ما يجوز من الاشتراط و الثنيا في الإقرار (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب في أسماء اللَّه تعالىٰ وفضل من أحصاها (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يكون، وذلك معنىٰ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، فكل ما أضافه الرب لنفسه من الأسماء والصفات فله منه القدر الأعلىٰ، فهو السميع له من السمع أعلاه، وهو البصير فله من البصر أعلاه، وهو العليم فله من العلم أعلاه، حتىٰ وإن تسمىٰ بهذه الأسماء غيره من المخلوقات.

مثال ذلك: الحي: يسمىٰ به المخلوق؛ قال تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]، لكن شَتَّانَ بين حياة وحياة، فحياة الرب غير مسبوقة بعدم ولا يلحقها فناء، وحياة المخلوق مسبوقة بعدم ويلحقها الفناء.

مثال آخر: العليم: يسمىٰ به المخلوق، قال تعالىٰ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات]، لكن شتان بين علم وعلم، فعلم اللَّه ﷻ غير مسبوق بجهل، ولا يلحقه نسيان، وعلم الآدمي مسبوق بالجهل ويلحقه النسيان، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، واعتبر وتفكر وأنت تحمل رضيعًا بين يديك ماذا عنده من العلم؟ لا يعلم شيئًا، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، هذه منافذ التعلم، فلا يزال يشب وينمو، وينمو معه عقله وتفكيره، حتىٰ يبلغ أعلىٰ الدرجات العلمية الممكنة ويحمل الألقاب ثم ماذا بعد ذلك؟ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٠]، وإذا بهذا المخزون من المعلومات الذي تراكم عبر السنين يأخذ في التحلل والتفكك والتناقص ويأتي عليه النسيان، وإذا به يخرف حتىٰ يصل إلىٰ حال يقال له: من أنت؟! فلا يعلم، أما الرب ﷻ فعلمه غير مسبوق بجهل ولا يلحقه نسيان، كما أن علمه محيط بكل شيء، وشامل لكل شيء بخلاف علم المخلوق، فقد أخبر عن نفسه فقال: ﴿وَعِندَهُۥ

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ❁ [الأنعام]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وهذا الحسن في أسماء الرب سبحانه، كما أنه يكون حسنًا بانفراد كل اسمٍ علىٰ حده لكن يُنْتِجُ حسنًا مضاعفًا باقتران بعض الأسماء الحسنىٰ مع بعضها، مثال ذلك قوله تعالىٰ: ❁فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ❁ [النساء]، فالعَفُوُّ من أسماء اللَّه الحسنىٰ، والقدير من أسماء اللَّه الحسنىٰ، لكن لما انضم هذا الاسم إلىٰ ذاك الاسم أعطىٰ حسنًا مضاعفًا، لأن أفضل درجات العفو، العفو مع المقدرة، فربما عفا أحد الناس بسبب عجز، وربما كان الإنسان قديرًا لكن يحب الانتقام، أما اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد جمع هذين الوصفين المُتَضَمَّنَيْنِ في هذين الاسمين الجليلين: ❁فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ❁ [النساء].

مثال آخر: يَقْرِن اللَّه تعالىٰ بين العلم والقدرة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ❁ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ❁ [الطلاق]، فقدرته مبنية علىٰ علمه سبحانه، وعلمه مقرون بقدرته، فمن الناس من يعلم لكن لا يقدر، ومن الناس من يقدر لكن بدون علم فيفسد أكثر مما يصلح، فهذا دليل علىٰ أن أسماء اللَّه الحسنىٰ حسنىٰ باعتبار انفرادها، وحسنىٰ باعتبار اقترانها.

كذلك له الصفات العلىٰ سبحانه، فما من اسم من أسماء اللَّه الحسنىٰ إلا وقد تضمن صفة، وقد ثبت لفظ الصفة فيما رواه الإمام البخاري في قصة الرجل الذي أَمَّرَهُ النبي ﷺ علىٰ سرية، فكان يقرأ بأصحابه بسورة الإخلاص، ويقرأ معها سورة أخرىٰ في كل ركعة أو

في كل صلاة، فكأن أصحابه أنكروا عليه وقالوا إما أن تكتفي بها أو أن تقرأ سواها، وذكروا ذلك للنبي ﷺ حين رجعوا، فقال النبي ﷺ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ**»، فقال الرجل رضي الله عنه: إنها صفة الرَّحمٰن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّهُ**»[(١)]، فأقره النبي ﷺ علىٰ قوله صفة الرَّحمٰن.

وصفات الرب سبحانه وتعالى توقيفية، لا يجوز لأحد أن يثبت للَّه صفة من عند نفسه، لا بد من دليل علىٰ إثبات الصفة، ونحن نثبت الصفات من ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: الأسماء الحسنىٰ، فكل اسم من أسماء اللَّه يتضمن صفة، العليم يدل علىٰ العلم، البصير يدل علىٰ البصر، القدير يدل علىٰ القدرة، السميع يدل علىٰ السمع وهكذا.

المصدر الثاني: التصريح بالصفة في الكتاب أو السنة، كقوله ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، فأثبت اللَّه تعالىٰ لنفسه الرحمة فهو رحيم ذو رحمة، مثال آخر: قال اللَّه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فأتىٰ بلفظ العزة مُصَرَّحًا به، ومن السنة عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ مَوْضِعِ الأَلَمِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ـ ثَلَاثًا ـ، ثُمَّ قُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ ـ سَبْعَ مَرَّاتٍ ـ**»[(٢)]، ففعل ذلك فذهب عنه ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضل قراءة قل هو اللَّه أحد (٨١٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام ـ باب استحباب وضع يده علىٰ موضع =

يجد، وهذه رقية شرعية نافعة، إذا قالها الإنسان بيقين فإن اللَّه ﷻ يشفيه ويعافيه، فالشاهد من هذا أنه قال: بعزة اللَّه وقدرته، فعبر بلفظ الصفة صريحًا.

المصدر الثالث: أفعال الرب ﷻ، فإذا أخبرنا اللَّه تعالىٰ عن فعل من أفعاله فهذا الفعل يدل علىٰ الصفة مثال ذلك قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر]، فنستمد منه إثبات صفة المجيء، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، نستمد منه إثبات صفة الإرادة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير]، نستمد منه إثبات صفة المشيئة، وعلىٰ هذا قس.

ومن قواعد الأسماء والصفات: **أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء**؛ لأن كل اسم يتضمن صفة ولا عكس، فلا يلزم من إثبات الصفة إثبات الاسم، فلا يقال من أسماء اللَّه الحسنىٰ الجَائِي من المجيء، الشَّائِي من المشيئة، فلا نشتق من الأفعال والصفات أسماء، لكن نشتق من الأسماء والأفعال الصفات، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء.



= الألم مع الدعاء (٢٢٠٢)، من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

❁ المحترَزات الأربعة ❁

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر أن مقتضىٰ توحيد الأسماء والصفات أن نثبت للَّه تعالىٰ ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا أردف ذلك بالاحتراز من أمور:

○ **فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

(من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل).

أي إن إثباتنا للأسماء والصفات يجب أن يكون منزهًا عن هذه الأمور؛ يكون إثباتًا بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، حتىٰ يكون إثباتًا صحيحًا.

التشبيه: هو إثبات مُشَابِهٍ للشيء.

والتمثيل: إثبات مماثل للشيء. ولا فرق بين التشبيه والتمثيل والعلماء غالبًا يعدونهما مترادفين، فيعبرون عن التشبيه بالتمثيل وعن التمثيل بالتشبيه، ولكن عند التدقيق يمكن أن نقول: إن التمثيل هو المطابقة من جميع الوجوه، وأما التشبيه فهو المطابقة من معظم الوجوه، ونضرب لذلك مثالاً، كل نسخة من نسخ القرآن تماثل الأخرىٰ، لأنها مطابقة لها من جميع الوجوه، لكن لو طلبنا من اثنين رسم خريطة الجزيرة العربية، لصار معنا خريطتان، إحداهما تشبه الآخر، لأنه يستحيل أن تتطابقا من جميع الوجوه، بل من معظم الوجوه.

فاللَّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ينزه عن المثيل والشبيه فإذا أثبتنا للَّه الأسماء والصفات فيجب أن نعتقد أنها علىٰ وجه لا يشابه ولا يماثل صفات المخلوقين،

فالتشبيه والتمثيل ممتنعان عقلاً محرمان شرعًا.

فيستحيل أن يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مثل المخلوق الناقص من جميع الوجوه، والعقل يرفض ذلك، ولهذا أبطل اللَّه ﷻ عبادة المشركين من هذه الجهة، فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان]، فهم غير أهل لأن يكونوا آلهة، وكل صاحب عقل سليم يقطع ويجزم بأن الخالق لا يمكن أن يكون مماثلاً للمخلوق.

والتشبيه والتمثيل محرمان شرعًا؛ لأن النصوص الشرعية دلت على منع التمثيل، قال اللَّه ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

ولما سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**»[(١)]، دل ذلك على أن التمثيل ممتنع عقلاً محرمٌ شرعًا.

(**التحريف**) لغةً: معناه التغيير، يقال حَرَّفَ الكتاب يعني غيره، ويقال كان يسير على الطريق فانحرف يعني تغير مساره[(٢)].

وأما اصطلاحًا: فهو تغيير النص لفظًا أو معنىً.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٨٦)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تاج العروس (مادة حرف: ١/ ٨٩).

والتحريف نوعان: تحريف لفظي وتحريف معنوي.

التحريف اللفظي: له صور متعددة:

١ ـ بزيادة حرف:

كما فعل بعض المحرفين في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قالوا: استولىٰ، فحرفوا بزيادة حرف.

٢ ـ بزيادة كلمة:

كما حرفوا قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، فقالوا: وجاء أمر ربك، وكما حرفوا قول النبي ﷺ «**يَنْزِلُ رَبَّنَا**»[١]، فقالوا: ينزل أمر ربنا، أو ينزل ملك من ملائكة ربنا، فحرفوا بزيادة كلمة.

٣ ـ بتغيير الحركات الإعرابية:

يضبط أوخر الكلمات المعربة في اللغة العربية الحركات؛ مثل الضمة والفتحة والكسرة، فإذا تغيرت تغير المعنىٰ، مثال ذلك بقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء].

﴿وَكَلَّمَ﴾: فعل ماضٍ مبني علىٰ الفتح.

﴿ٱللَّهُ﴾: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

﴿مُوسَىٰ﴾: مفعولًا به منصوب.

﴿تَكۡلِيمٗا﴾: مفعول مطلق مؤكد لعامله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد ـ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فعمد هؤلاء المحرفون الذين يريدون إنكار صفة الكلام، فجعلوا لفظ الجلالة مفعولًا به منصوب، ليكون المتكلم موسىٰ وليس اللَّه، وجعلوا (موسىٰ) فاعلًا مؤخرًا، و(اللَّه) مفعولًا به مقدمًا.

حتىٰ إن أحدهم جاء إلىٰ أبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة المشهورين، وقال له: أريدك أن تقرأ لي هذه الآية هكذا: وكلم اللَّهَ موسىٰ تكليمًا، ليطير بها في الآفاق ويقول هذه قراءة سبعية قرأ بها أبو عمرو بن العلاء، ففطن رَحِمَهُ اللَّهُ لمراده، وقال له: يا ابن اللَّخْنَاءِ، فماذا تصنع بقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أما التحريف المعنوي: فهو أن يُبقىٰ صورة النص كما هي ولكن يزعم بأن هذا ليس هو مراد اللَّه، فيقول: نعم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، لكن ليس المقصود الاستواء الحقيقي وإنما المقصود الاستيلاء أو الهيمنة أو السيطرة، يأتي إلىٰ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فيقول: نعم بيده، لكن ليس المقصود باليد الصفة الحقيقية للَّه عَزَّ وَجَلَّ اللائقة به، وإنما المقصود باليد القدرة أو النعمة، وهكذا يُبْقِي صورة اللفظ لا يُدخل حرفًا ولا كلمة ولا يغير الحركات الإعرابية لأنه يعلم أنه لا سبيل إلىٰ ذلك، فاللَّه قد حفظ الذكر من التحريف، ولكن يحرف المعنىٰ، فيأتي بمعنىٰ من عنده ويُلْغِي المعنىٰ المراد للَّه عَزَّ وَجَلَّ.

○ التعطيل:

التعطيل لغة: التفريغ والخلو، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]: أي ليس فيها ماء، ونحن نقول: العطلة الصيفية: لخلوها من الدراسة، ونقول: رجل عاطل، أي ليس له عمل، وتقول العرب

امرأة مِعْطَالٌ، أي أنها خالية من الحلي والذهب. اكتفت بجمالها الطبيعي عن هذه الزينة، كما قال الشاعر:

لا تنكري عَطَلَ الكريم من الغنىٰ

فالسيل حربٌ للمكان العالي

يخاطب محبوبته التي تقول: ليس عندك مال، فيقول: لا تنكري خلو يد الكريم من المال، فالسيل حرب للمكان العالي، أي كما أن السيل إذا نزل فإنه لا يستقر علىٰ رؤوس الجبال بل يهبط منها إلىٰ الأودية، فكذلك الرجل الكريم إذا وقع المال بيده قال به هاءَ وهاءَ وفرقه يمنة ويسرة.

أما اصطلاحًا: فهو جحد أو إنكار أو نفي أسماء اللَّه تعالىٰ وصفاته كلها أو بعضها.

وبه يتبين أيضًا أن التعطيل نوعان: **تعطيل كلي، وتعطيل جزئي**.

والمعطلة درجات:

١ ـ **الجهمية**: فرقة تنسب إلىٰ الجهم بن صفوان السمرقندي، أنكروا الأسماء والصفات، فقال قائلهم: إن اللَّه ليس بسميع ولا بصير ولا عليم ولا حكيم ولا قدير، وليس له سمع ولا بصر ولا علم ولا حكمة زعمًا منهم أن إثبات الأسماء والصفات يؤدي إلىٰ تعدد القدماء، مع أنها أسماء لمسمىٰ واحد وهو اللَّه سبحانه وتعالى، هؤلاء الجهمية من غلاة المعطلة، ولهذا لم يتردد أهل السنة في تكفيرهم حتىٰ قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

ولقد تَقَلَّدَ كفرهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدانِ

خمسمائة عالم من علماء السلف كفروا الجهمية؛ لأن مقالتهم

شنيعة، تؤدي إلىٰ إنكار الرب ﷻ، كما قال بعض السلف مخاطبًا المعطلة قال: واللَّه ما مثلكم إلا كمثل رجل قال في بيتنا نخلة، فقيل: أَلَهَا جذع؟ قال: لا، قيل ألها جذور؟ قال: لا، قيل ألها سعف؟ قال: لا، قيل أتحمل الثمر؟ قال: لا، قال فما في بيتكم نخلة!، لأنه إذا أنكر جميع ما يضاف إلىٰ اللَّه ﷻ من الأوصاف فقد أنكر وجود اللَّه، ولهذا قال جرير بن عبد الحميد الضبي (١٨٨هـ): «كلام الجهمية أوله عسل، وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله»[(١)]، فإنهم يثبتون وجود اللَّه بشرط الإطلاق، أي وجود لا يضاف إليه أي صفة، ولا يتقيد بها، وهذا أمر ترفضه الأذهان ولا وجود له في الأعيان.

٢ ـ المعتزلة: يثبتون الأسماء لكن يفرغونها ويعطلونها من الصفات، فيقول قائلهم: اللَّه سميع بصير عليم حكيم قدير، لكن سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات، فجعلوا أسماء اللَّه ﷻ من قبيل الأعلام المحضة التىٰ لا تدل علىٰ وصف.

ومن قواعد الأسماء والصفات: **أن أسماء اللَّه تعالىٰ أعلام وأوصاف**، بخلاف الناس. فإن قلنا عن أحد: هذا اسمه صالح لم يلزم أن يكون صالحًا وقد يسمىٰ أحد الناس: كريم، ويكون من أبخل الخلق، فأسماء الناس مجرد أعلام، لكن أسماء الرب ﷻ أعلام وأوصاف، فكل اسم من أسماء اللَّه يدل علىٰ أمرين:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «الرد علىٰ الجهمية»، ومن طريقه الذهبي في كتابه العرش (٢/ ١٩١)، وكتابه الأربعين في صفات رب العالمين له (١/ ٦٠).

أولاً: يدل علىٰ ذات اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: يدل علىٰ الصفة التي تضمنها.



❁ توحيد الألوهية ❁

○ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتوحيد الألوهية والعبادة وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها وأفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته.

توحيد الألوهية هو الذي بعث اللَّه به المرسلين فقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فجميع رسل اللَّه بُعثوا بتوحيد العبادة فما من نبي أرسله اللَّه إلىٰ قومه إلا وبادئهم بهذه الجملة: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قالها نوح، وقالها صالح، وقالها هود، وقالها شعيب، وقالها محمد ﷺ، وصلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين، فالتوحيد هو أول الإسلام وآخره وأوسطه، والتوحيد هو أول ما يدخل به الإنسان الإسلام، فلا يقبل اللَّه من أحد عملاً حتىٰ يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وهو آخر ما يخرج به الإنسان من الدنيا، كما قال نبينا ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

ولم يكن المشركون ينازعون في توحيد الربوبية كما تقدم، وإنما ينازعون في توحيد الألوهية، فقد جاء في الحديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ـ باب في التلقين (٣١١٦)، من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٦٢١).

أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ». قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: «كَلِمَةً وَاحِدَةً» قَالَ: «يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص][1]، أَبَوْا أن يقبلوا التوحيد؛ لأنهم يعلمون أن معنى التوحيد أن يُذْعِنُوا للَّه رب العالمين ويبطلوا جميع الآلهة والمعبودات سواه، فيجعلون الأمر كله للَّه.

فلهذا كان مدار الدين كله على التوحيد، فتوحيد العبادة هو معنى قولنا: لا إله إلا اللَّه.

معنى «الإله» في اللغة: المَأْلُوه، أي المعبود[2]، وفِعَالٌ تأتي بمعنى مفعول كثيرًا في اللغة العربية، مثل فراش أي مفروش، غراس أي مغروس، وكتاب اي مكتوب، **والمألوه هو الذي تَأْلَهُهُ القلوب محبة وتعظيمًا**.

ومعنى «لا إله إلا اللَّه»: أي لا معبود بحق إلا اللَّه، وقيدنا بهذا القيد وهو (بحق)؛ لأن هناك آلهة مُدَّعَاة لكنها آلهة باطلة قال اللَّه ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، إلى آخر الآية، وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]، فالمعبودات سوى اللَّه كثيرة،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة ص (٣٢٣٢)، من حديث عبد اللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي».

(٢) المصباح المنير (مادة أله: ١٦).

فهناك من يعبد الشجر، وهناك من يعبد الحجر، وهناك من يعبد البهائم، وهي في حقهم آلهة لكنها آلهة بباطل والعياذ باللَّه.

○ العبادة:

أما تعريف العبادة: فالعبادة لغة: الذُّلّ، تقول العرب بعير مُعَبَّدٌ أي بعير مذلل، كما يقول الناس بعير ذلول أي منقاد يطيع صاحبه، ونقول أيضًا: طريق معبد أي مسهل ومذلل للسير عليه.(١)

أما حقيقة العبادة: فهي كمال المحبة مع كمال التعظيم، فالمؤمن الحق هو الذي يعبد ربه محبًا له معظمًا إياه.

وتعريف العبادة بآعتبار المتعبد به عَرَّفَهَا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالعبادة تطلق أحيانًا علىٰ التَّعَبُّدُ، وتطلق أحيانًا علىٰ المُتَعَبَّد به، فإذا أردنا بالعبادة نفس التعبد فهي كمال المحبة مع كمال التعظيم، وإذا أردنا المُتَعَبَّد به فهي اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وبهذا يتبين أنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير اللَّه ﷻ، سواءً كانت عبادة قلبية كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة وغيرها من أنواع العبادات القلبية التي هي أشرف أنواع العبادات، فلا يجوز أن تحب غير اللَّه المحبة التي لا تنبغي إلا للَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أي يحبونهم كالمحبة التي تكون للَّه، فوقعوا في شرك المحبة.

---

(١) تاج العروس (مادة: عبد ٨/ ٣٤٠)، لسان العرب (مادة عبد ٣/ ٢٧٣).

ولا يجوز أن تتوكل علىٰ غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله شرطًا في الإيمان، ولا يجوز أن تخاف غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، قال ربنا ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وكذلك سائر أنواع العبادات القلبية، يجب أن يصرفها العبد خالصة للَّه رب العالمين، قال ربنا ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥]، فإسلام الوجه للَّه ألا يلتفت العبد لغير اللَّه بل يجعل ربه ﷻ غاية مطلوبه ومقصوده.

وكذلك إذا كانت العبادة بدنية كالصلاة المكونة من ركوع وسجود وقيام وقعود، أو جهاد في سبيل اللَّه، أو إماطة للأذىٰ عن الطريق، لا يجوز صرفها لغير اللَّه ﷻ، فلا يجوز الركوع لغير اللَّه ولا يجوز السجود لغير اللَّه، ولما جاء معاذ بن جبل من الشام وقد رأىٰ الناس يسجدون لأساقفتهم ورهبانهم خر ساجدًا للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**مَهْ يَا مُعَاذُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْجِدُ إِلَّا للَّهُ**»، فقال يا رسول اللَّه رأيتهم يصنعون ذلك بأحبارهم ورهبانهم فأنت أولىٰ أن يسجد لك، قال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحْدٍ لأَمَرْتُ الزُّوجَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزُوجِهَا**»[1].

وكذلك إذا كانت العبادة عبادة مالية من زكاة أو صدقة أو نحو

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح ـ باب في حق الزوج علىٰ المرأة (٢١٤٠)، والترمذي في كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة (١١٥٩)، وابن ماجه في كتاب النكاح ـ باب حق الزوج علىٰ المرأة (١٨٥٣).

ذلك لا يجوز التقرب بها إلىٰ مخلوق بل يكون التقرب بها إلىٰ الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن تُبْذَل لمستحقها قربة إلىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك إذا كانت عبادة لسانية فلا يجوز للإنسان أن يدعو غير اللَّه، ولا يستعيذ بغير اللَّه، ولا يستغيث بغير اللَّه، ولا يقرأ القرآن تقربًا لأحد غير اللَّه.

وفي الجملة فكل عبادة لابد أن تصرف للَّه وحده سبحانه، لا يجوز صرفها لأحد سواه والأمثلة علىٰ هذا كثيرة، **ولهذا قال الشيخ: وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها وأفرادها:**

والجنس أعم من النوع، فالعبادات اللسانية جنس، ومن أنواعها: الذكر وتلاوة القرآن والدعوة إلىٰ اللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعبادات البدنية جنس من أنواعها: الصلاة، والحج، وإماطة الأذىٰ عن الطريق، وهكذا فلابد من إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها، وأفراد العبادة كل نوع علىٰ حدةٍ كصلاة معينة، أو صدقة معينة.

○ الشرك:

من غير إشراك به في شيء منها:

فالأمم السابقة من أصناف المشركين كانوا يعبدون اللَّه لكن كانوا يفسدون ذلك بعبادة غيره معه، وأضرب مثالاً بقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]، فقد تبرأ من جميع معبوداتهم واستثنىٰ فاطره وهو اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مما يدل علىٰ أن قومه كانوا يعبدون اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لكن يعبدون معه غيره هذا إذا قلنا إن الاستثناء متصل، كذلك قول قائل أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، فقد كانت لهم عدة معبودات، يعبدون اللَّه ويعبدون غيره، فلم ينفعهم ذلك.

والمثال الأقرب هم مشركو العرب الذين بُعِثَ فيهم نبينا محمد ﷺ، فقد كان القوم علىٰ دين إبراهيم لكن ما زال بهم الشيطان حتىٰ أدخل عليهم عبادة الأصنام، فأزَّ رجلاً يقال له عمرو بن لُحَيّ الخزاعي وأتاه في المنام وقال له: ائت جُدَّة، تجد أصنامًا مُعَدَّة[1]، فذهب وحفر وكشفها فإذا بهذه الأصنام التي عبدها قوم نوح عليه السلام مطمورة فاستخرجها ثم بثها في قبائل العرب، فصاروا يعبدونها من دون اللَّه وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فبُعِثَ النبي ﷺ في هؤلاء المشركين، وقد كانوا يعبدون اللَّه ويحضرون الموسم، ويحجون، ويطعمون الطعام، ويسقون الحجيج، ويلبون فيقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك ملكته وما ملك، أي أنهم لا يفردون اللَّه بالتوحيد، فلما حج النبي ﷺ حجة الوداع أَهَلَّ بالتوحيد فقال: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، أهل بالتوحيد وطمس تلبية المشركين، ولم ينفع هؤلاء المشركين ما كانوا يعملونه من الأعمال، قال ربنا ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ رجلاً مُمَدَّحًا مُمَجَّدًا في الجاهلية يقال له عبد اللَّه بن جُدْعَان قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ فقال النبي ﷺ: «**لَا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: رَبِّ اغْفِرْ خَطِيئَتِي يَوْمَ**

---

(١) مختصر سيرة الرسول (٩٣).

الدِّينِ»[(١)].

فالتوحيد هو أساس قبول الأعمال وأساس صحة الأعمال، فمن أشرك مع اللَّه غيره فإن ذلك محبط لعمله، قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]، وقال ربنا ﷻ في الحديث القدسي: **«أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**[(٢)].

والشرك: هو اتخاذ غير اللَّه نِدًا يساويه باللَّه إما في ربوبيته وإما في ألوهيته وإما في أسمائه وصفاته، فقد يقع الشرك في الربوبية، وقد يكون في الألوهية، وربما وقع في الأسماء والصفات.

وبعد أن ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع التوحيد الثلاثة علىٰ سبيل الإجمال شرع في نوع من التفصيل ليبين ما يلتحق بهذه الأنواع.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ الكفر لا ينفعه عمل (٢١٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ـ باب من أشرك في عمله غير اللَّه (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ الإيمان بالقَدَر ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن وأنه علىٰ كل شيء قدير وأنه الغني الحميد وما سواه فقير إليه من كل وجه.

الإيمان بالقدر داخل في الإيمان بربوبية اللَّه؛ لأن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالإيمان بالقدر من ضرورات توحيد الربوبية، ووجه دخول الإيمان بالقدر في توحيد الربوبية لكون القدر من خلق اللَّه ومن تدبيره الكوني.

والقدر لغة: مصدر قدرت الشيء، أي: هَيَّأْتُهُ وَوَقَّتُّهُ وأحطت بمقداره(١).

ومعناه شرعًا: تعلق علم اللَّه بالكائنات وكتابته لها وإرادته لها قبل وجودها وخلقه إياها، وبهذا تتبين مراتب الإيمان بالقدر فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق أربعة أمور:

○ الأول: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً:

ما كان من فعله وما كان من أفعال خلقه، فلابد للمرء أن يؤمن أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علم ما كان وما يكون وما سوف يكون وأنه لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

(١) لسان العرب (مادة قدر ٥/ ٧٤).

○ **الثاني: الإيمان بكتابة الله تعالى لِمَعْلُومِهِ في اللوح المحفوظ:**

والدليل على هذين الأمرين ـ العلم والكتابة ـ جمع اللَّه بينهما في آية واحدة فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[(١)].

وفي الحديث أيضًا: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ**»، وفي لفظٍ: «**أَوَّلُ**» بالنصب على الظرفية، «**أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يومِ القِيَامِةِ، فَجَرَىٰ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يومِ القِيَامِةِ**»[(٢)].

○ **الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وإرادته الشاملة:**

فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، لا يكون في ملكه سبحانه ما لا يريد.

○ **الرابع: الإيمان بخلق الله ﷻ لجميع الأشياء ذواتها وحركاتها وصفاتها:**

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر ـ باب حجاج موسىٰ وآدم عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ـ باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر ـ باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأحمد في المسند (٢٢٧٠٥) (٢٢٧٠٧).

هذه مراتب الإيمان بالقدر، ولا يتم الإيمان بالربوبية إلا بالإيمان بالقدر، ولذلك أدخلها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توحيد الربوبية.

قال: (**وأنه الغني الحميد**): هذان اسمان شريفان من أسماء اللَّه الحسنىٰ.

الغني: أي من له الغنىٰ المطلق، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غني بنفسه مستغن عمَّا سواه، وجميع خلقه مفتقرون إليه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

الحميد: أي يحمده خلقه، فهو أهل الحمد سبحانه، ولهذا نقول بعد رفعنا من الركوع: (ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أحق ما قال العبد)، فالحمد للرب سبحانه هو أحق ما قال العبد، كذلك هو سبحانه يَحْمَدُ خلقه إذا هم أطاعوه ويثني عليهم ويكافئهم ويثيبهم فهو حميد من الجهتين.



❃ إثبات جميع معاني الأسماء الحسنى ❃

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ودخل في توحيد الأسماء والصفات إثبات جميع معاني الأسماء الحسنىٰ للَّه تعالىٰ الواردة في الكتاب والسنة:

أيضًا هذا نوع تفصيل لما تقدم من ذكر أنواع التوحيد، فبين الشيخ هاهنا مسألة مهمة جدًا، وهي أن إثباتنا للأسماء والصفات ليس إثباتًا للألفاظ فقط، بل إثبات للألفاظ وما تضمنته من المعاني حتىٰ لا نقع فيما وقعت فيه المعتزلة، فالمعتزلة تقول: اللَّه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، حكيم بلا حكمة، أي يثبتون ألفاظ الأسماء ولكن ينكرون ما دلت عليه من المعاني.

ونحن أهل السنة والجماعة نثبت الألفاظ ونثبت المعاني، نفوض الكيفيات إلىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، فنعلم أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميع ونعلم أن معنىٰ السمع إدراك الأصوات، أما كيفية سمعه فنفوضها إليه سبحانه، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَىٰ عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] **الْآيَةَ)**[(١)].

ونثبت **اسم اللَّه البصير**، ونعلم أن البصر يعني إدراك المُبْصَرَات

---

(١) سنن النسائي في كتاب الطلاق ـ باب الظهار (٣٤٦٠)، سنن ابن ماجه ـ باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٨)، مسند الإمام أحمد (٢٤١٩٥)، وأخرجه البخاري معلقاً في باب وكان اللَّه سميعاً بصيراً، وصححه الألباني.

والمَرْئِيَّات، لكننا نفوض كيفية البصر إلىٰ اللَّه ﷻ، فلا نحكي كيفية ذلك.

ونثبت للَّه تعالىٰ صفة الاستواء بلفظها ونعلم أن الاستواء معناه العلو، أمَّا كيفية استوائه سبحانه فَنَكِلُهَا إلىٰ اللَّه ونفوضها إليه. فلابد من التفريق بين مقامين:

(**المعنىٰ**) نثبته علىٰ ما دلت عليه لغة العرب علىٰ الوجه اللائق باللَّه، أما (**الكيفية**) فإننا لا نحيط بها علمًا فلا يعلمها إلا اللَّه سبحانه وتعالىٰ.

وهذا هو معنىٰ جواب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله حينما دخل عليه رجل المسجد فقال له: يا أبا عبد اللَّه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، كيف استوىٰ؟ يسأل عن كيفية الاستواء! فَأَطْرَقَ أبو عبد اللَّه برأسه ساعة إلىٰ الأرض وعلته الرُّحَضَاء - أي ارْفَضَّ جسده عرقًا - من هول وقع السؤال عليه؛ لأن القوم رحمهم اللَّه كانوا يعظمون اللَّه ﷻ ويجلونه في قلوبهم، فلما ألقي عليه هذا السؤال لحقه ما لحقه من التأثر، ثم رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ثم قال: وما أظنك إلا صاحب بدعة ثم أمر به فَأُخْرِجَ من المسجد[1].

---

(١) الرد علىٰ الجهمية (للدارمي) (٦٦) دار ابن الأثير بالكويت، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (اللالكائي) (٣٩٨/٣) دار طيبة.

قالَ الإمامُ الذهبيُّ معقِّبًا: «هذا ثابت عن مالك...وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به لا نعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا، ولا إثباتا، بل نسكت، ونقف كما، وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلىٰ بيانه الصحابة والتابعون، ولما =

هذه الجمل تكتب بماء الذهب، وهي دستور لأهل السنة والجماعة في باب الصفات.

وفي هذه الإجابة السلفية النورانية شفاء الصدور في هذا الباب الذي التبس على بعض الضالين.

فقوله **(الاستواء غير مجهول)**: أي غير مجهول المعنى في لغة العرب، فالعرب تعرف في لغتها معنى الاستواء وأنه العلو، قال اللَّه ﷻ في سورة الزخرف عن الفلك والأنعام: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، أي: لتعلو على ظهور الفلك والأنعام، فالذي قال ذلك هو الذي قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، هو الذي قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فكيف يفسرونها في موضع بالعلو وفي موضع يحرفونها إلى الاستيلاء.

وقوله **(والكيف غير معقول)**: أي أن عقولنا لا يمكنها أن تدرك كيفية استواء اللَّه على عرشه، فإن هذا مما لا تطيقه.

وقوله **(والإيمان به واجب)**: أي الإيمان باستواء اللَّه ﷻ على عرشه واجب؛ لأن اللَّه أخبر به في كتابه وأخبر به نبيه ﷺ.

وقوله **(والسؤال عنه بدعة)**: أي السؤال عن كيفية الاستواء بدعة؛ لأن الصحابة رضوان اللَّه عليهم لم يكونوا يسألون النبي ﷺ عن كيفية الاستواء.

فالواجب علينا في هذا الباب أن نثبت جميع معاني الأسماء الحسنى للَّه تعالى الواردة في الكتاب والسنة ولا نزيد؛ لأنه لا

= وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينا مع ذلك أن اللَّه جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله ﷻ عما يقول الظالمون علوا كبيراً». العلو (١٣٩) أضواء السلف.

سبيل لنا إلىٰ العلم باللَّه ﷻ وأسمائه وصفاته إلا عن طريق الوحي، القرآن أو السنة الصحيحة، وأما ما سوىٰ ذلك فبابه موصد، وهذا معنىٰ أن أسماء اللَّه تعالىٰ توقيفية، وأن صفات اللَّه تعالىٰ توقيفية، أي نقف فيها عند موارد النصوص.

○ **قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

والإيمان به ثلاثة درجات إيمان بالأسماء وإيمان بالصفات وإيمان بأحكام صفاته، كالعلم بأنه عليم ذو علم ويعلم كل شيء، قدير ذو قدرة ويقدر علىٰ كل شيء، إلىٰ آخر ما له من الأسماء المقدسة.

فالواجب علينا في كل ما أثبته اللَّه لنفسه، ثلاثة أمور:

أولاً: أن نثبت الاسم.

ثانيًا: أن نثبت ما دل عليه من الأوصاف.

ثالثًا: أن نثبت الحكم المترتب علىٰ ذلك.

وضرب الشيخ مثالين:

العليم: يجب علينا أن نثبت العليم اسمًا للَّه تعالىٰ؛ لأن اللَّه ذكره في كتابه في مواضع كثيرة.

أيضًا نثبت أنه ذو علم فأسماء اللَّه تعالىٰ ليست أعلامًا محضة بل أعلام وأوصاف، فهو عليم ذو علم، لا كما تقول المعتزلة: عليم بلا علم، والحكم المترتب علىٰ هذه الصفة أنه يعلم كل شيء فلا تخفىٰ عليه خافية.

وأسماء اللَّه الحسنىٰ إن دلت علىٰ وصف متعدٍ لزم فيها ثلاثة أمور، وإن دلت علىٰ وصف لازم لزم فيها أمران، نمثل بمثال.

السميع: اسم شريف يدل علىٰ وصف متعد؛ لأن السمع يتعلق

بمسموع فما الواجب علينا في اسم اللَّه السميع:

أن نثبت السميع اسمًا للَّه.

وأن نثبت السمع صفة للَّه.

وأن نثبت حكم السمع، وأن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع السر والنجوىٰ؛ كما جمع بينهما في قوله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة].

وإذا كان الاسم ليس له أثر متعدٍ، مثل:

الحي: فلا يلزمنا فيه إلا أمران:

أولاً: إثبات الحي اسمًا للَّه تعالىٰ.

ثانيًا: إثبات الحياة صفة للَّه تعالىٰ.

وتبين أيضًا مما قرر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من وجوب إثبات المعاني، بطلان مذهب أهل التجهيل الذين يسمون أنفسهم أهل التفويض، وهي طائفة تزعم الانتساب إلىٰ السلف وتزعم أن طريقتها هي طريقة السلف والسلف منها برآء، يقول قائلهم: نحن نؤمن بألفاظ نصوص الصفات ولكن لا نثبت المعاني، ونقول: اللَّه أعلم، بمراده منها! فلا نقول إن الاستواء معناه العلو، كما يقول المثبتة، ولا نقول معناه الاستيلاء كما يقول المؤوله، بل نسكت، نقرأ ألفاظ الأسماء والصفات ولا نثبت ما دلت عليه من المعاني. هؤلاء يسمون أنفسهم أهل التفويض وهم في الحقيقة أهل التجهيل ومذهبهم مذهب باطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: (درء تعارض العقل والنقل)، لما حكىٰ مقالة أهل التفويض قال: (فتبين أن قول أهل

التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد)[(١)]، لأنها تسد باب العقل والنقل فيكون حالهم في قراءتهم للقرآن كحال الأعاجم حين يقرأون القرآن، الأعاجم من غير العرب إذا قرأ أحدهم القرآن لا يعرف معاني ما يقرأ، فأهل التجهيل يقرؤون هذه الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا ولا يؤمنون إلا بالألفاظ فقط، وهذا مخالف لما أنزل اللَّه الكتاب من أجله، فقد قال اللَّه ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]، لم يستثنِ اللَّه شيئًا، لم يقل لا تتدبروا معاني ما أخبرت به عن نفسي. بل إن أعظم أبواب الدين هو باب الأسماء والصفات فهو أولىٰ بالتدبر والتبصر وأن يمتلئ قلب المؤمن به ويُعْمَرَ، وكان الصحابة ومِنْ بعدهم التابعون لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يتعلموهن وما فيهن من العلم والعمل، كما أخبر عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلىٰ قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد اللَّه بن مسعود أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يتعلموهن وما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فأوتينا القرآن والعلم والعمل[(٢)].

فهذا هو الواجب علىٰ أهل الإسلام أن يقروا عينًا ويطيبوا نفسًا ويغتبطوا بنعمة اللَّه عليهم بما أنزل عليهم من هذا الذكر المبين، وأن يتدبروا معاني ما أخبر اللَّه به عن نفسه، أو أخبر عنه نبيه ﷺ.



(١) درء تعارض العقل (١/ ٢٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٠)، مسند أحمد (٢٣٤٨٢)، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط.

❁ إثبات علوه واستوائه ونزوله تبارك وتعالى ❁

○ قال الشيخ رحمه الله:

ودخل في ذلك إثبات علوه على خلقه واستوائه على عرشه ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته:

هذه صفات ثلاث من الصفات العظيمة الجليلة لربنا عز وجل:

○ أولاً: العلو:

أولها: صفة العلو.

فربنا سبحانه وتعالى له العلو المطلق في ذاته وفي صفاته، وعلو اللَّه عز وجل ثلاثة أقسام:

علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات.

علو القدر: معناه أن صفات الرب سبحانه وتعالى قدرها أعظم قدر، له المثل الأعلى في السماوات والأرض، له من السمع أعلاه وله من البصر أعلاه وله من الحكمة أعلاها وله من القدرة أعلاها.

علو القهر: معناه أن اللَّه تعالى قهر جميع الخلق وغلبهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩، ٦١].

وهذان النوعان من أنواع العلو لا ينازع فيهما أحد من أهل القبلة، لا يمكن لإنسان يدعي الإسلام أن ينكر علو القدر أو علو القهر، وإنما وقع النزاع في النوع الثالث مع وضوحه وبيانه وهو علو الذات.

علو الذات: معناه أن اللَّه ﷻ بذاته الشريفة فوق سماواته مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه، فهو الظاهر ليس فوقه شيء، ليس في خلقه شيء منه ولا فيه شيء من خلقه، **وقد دل علىٰ إثبات هذا العلو خمسة أنواع من الأدلة:**

الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

أما الكتاب: فلا سبيل لنا لحصر أدلتها؛ حتىٰ إن بعض علماء الشافعية قالوا: إن في القرآن العظيم أكثر من ألف دليل علىٰ إثبات علو اللَّه[(١)]،قال ابن القيم: (الآيات والأخبار الدالة علىٰ علو الرب تعالىٰ علىٰ خلقه وفوقيته واستوائه علىٰ عرشه قد قيل إنها تقارب الألف وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم)[(٢)]، بعضها يدل مباشرة وبعضها يدل بالاستنباط، فأحيانًا يكون إثبات العلو في القرآن والسنة بذكر العلو صريحًا مثل قول اللَّه تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ⑨﴾ [الرعد]، وتارة يكون بذكر الفوقية، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩، ٦١]، وتارة يكون بذكر صعود الأشياء إليه، والصعود لا يكون إلا إلىٰ أعلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وتارة يكون بذكر عروج الأشياء إليه، قال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج]، والعروج لا يكون إلا إلىٰ أعلىٰ، وتارة يكون بذكر نزول الأشياء منه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٢١)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٨).

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [النحل: ٢]، وتارة يكون بذكر الاستواء، والاستواء معناه العلو، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وتارة يكون بذكر كونه في السماء، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، أي من علىٰ السماء، فهذه أنواع متعددة لإثبات العلو من القرآن العظيم.

ومن السنة: قال النبي ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**»، قالت: في السماء، قال: «**اعْتِقْهَا فإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[١].

الإجماع: أجمع المسلمون علىٰ إثبات العلو والاستواء، كما قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: (كُنَّا والتابعون متوافرون نقولُ: إن اللَّه تعالىٰ مُستوٍ علىٰ عرشه ونؤمن بما جاءت به السُنة من الصِفات)[٢]، فهي محل إجماع الأمة، وقد حكىٰ إجماعهم هذا ونقل الرواية عنهم جمع من المحدثين وأفردها بعضهم بمصنفات خاصة، فألف ابن قدامة المقدسي كتاب: (العلو)، وألف الإمام الذهبي (العلو للعلي الغفار)، أفرد فيه المروي عن السلف في إثبات العلو.

العقل: العقل الصريح يحكم بأن الرب سبحانه وتعالى لابد أن يكون متصفًا بالعلو، فالرب الخالق الكامل من جميع الوجوه يجب أن يكون متصفًا بصفات الكمال، والعلو كمال السفل نقص، فلابد أن يكون اللَّه متصفًا بصفة الكمال منزها عن النقص، ومما يدلك علىٰ أن العلو كمال أنك تجد الناس يستشرفون الأماكن الرفيعة، فإذا أراد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد مواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٨).

أحد أن يبني بيتًا تجنب بطون الأودية والأماكن الهابطة وطلب الأماكن الرفيعة العَلِيَّة، فالعلو في بداهة العقول كمال، فاللَّه تعالىٰ أولىٰ بالكمال.

الفطرة: والفطرة هي ما جبل اللَّه تعالىٰ عليه القلوب من غير سبق تعليم ولا تلقين، فجميع الخلائق مفطورة علىٰ أن ربها وخالقها في العلو، وتأمل الشيخ الكبير، والعجوز الفانية، والطفل الصغير، والأعرابي في باديته، والحضري في بلده، والعالم، والأمي، لو فتشت عن خبيئة قلوبهم لوجدت أنهم يعتقدون أن ربهم وخالقهم وبارئهم في العلو، لا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف فضلًا عن تحت، ويقال: إن البهيمة إذا ضُرِبَتْ، ضربًا مبرحًا ترفع طَرْفَهُا إلىٰ السماء.

ويروىٰ أن أبا المعالي الجويني وكان من أساطين مذهب الأشاعرة وكان يلقب بإمام الحرمين؛ لأنه غفر اللَّه له وعفىٰ عنه كان له قدم صدق في علوم الآلة والفقه والأصول وغير ذلك إلا أنه جرىٰ علىٰ طريقة الأشاعرة المتكلمين في تأويل الصفات الخبرية والصفات الفعلية، وكان له كرسي في المسجد الحرام فقال يومًا: كان اللَّه ولا شيء، وهذه جملة صحيحة؛ لأن اللَّه تعالىٰ هو الأول فليس قبله شيء ثم أردف قائلاً: وهو الآن علىٰ ما كان عليه، يعرّض بإنكار الإستواء الحقيقي؛ لأن اللَّه ﷻ يقول في كتابه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و﴿ثُمَّ﴾، في لغة العرب تفيد الترتيب والتراخي، وهو يريد أن يقول: إنه لم يحدث للَّه شيء بعد أن لم يكن، معرضاً بنفي الاستواء، فكان في الحاضرين رجل من أهل السنة ـ فَطِنَ إلىٰ مراده ـ يقال له أبو جعفر الهمداني، فقال له: دعنا من ذكر العلو

والاستواء، وأخبرني عن هذه الضرورة التي يجدها أحدنا في قلبه، ما قال عارف قط: يا اللَّه، إلا وجد في قلبه ضرورة لطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فجعل الجويني يلطم رأسه ويقول: حيرني الهمداني حيرني الهمداني[(١)]، فلم يستطع أن يجيب عن دليل الفطرة.

فلذلك يجب أن يُقَرَّرَ هذا وأن يشاع، مع أنه مقبول بحمد اللَّه في الفِطَرِ، لأن بعض الناس يجري علىٰ لسانه كلمات لا تليق باللَّه، ربنا في كل مكان!، هذا غلط، لا يجوز أن يقال، لكن يقال: علمه في كل مكان، أمَّا هو سبحانه فليس في كل مكان بل هو سبحانه فوق خلقه مستوٍ علىٰ عرشه بائن من خلقه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه، وأما هذه الجملة التي يرددها بعض الناس دون وعي: ربنا في كل مكان هذا مذهب حلولية الجهمية الذين يقولون إن اللَّه حَالٌّ في كل شيء تعالىٰ اللَّه عما يقولون.

○ ثانيًا: صفة الاستواء:

الاستواء معناه العلو، وقد ورد في القرآن الكريم علىٰ ثلاث استعمالات:

ورد مطلقًا، وورد مقيدًا بحرف إلىٰ، وورد مقيدًا بحرف علىٰ.

ورد مطلقًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، أي كمل في عقله وعلمه، كما نقول: استوىٰ الزرع أي كمل نضجه.

وورد مقيدًا بـ(إلىٰ)، وهو قول اللَّه ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فصلت: ١١]، فمعناها: قصد بإرادة تامة.

وورد مقيدًا بـ(علىٰ)، كقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٢٠) (٤/ ٦١، ٤٤)، العلو (٢٥٩).

[الزخرف: ١٣]، وكقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فمعناها حينئذ علا واستقر، إذًا معنىٰ استواء اللَّه علىٰ عرشه اصطلاحًا: أي علوه واستقراره عليه علوًا واستقرارًا يليق بجلاله وعظمته.

وقد قام عليه الدليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الدليل من الكتاب: ذكر اللَّه الاستواء في القرآن العظيم في سبعة مواضع ستة بلفظ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، [يونس: ٣]، [الرعد: ٢]، [الفرقان: ٥٩]، [السجدة: ٤]، [الحديد: ٤]، والسابع بلفظ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

ومن السنة: حديث رواه الخَلَّال بإسناد صحيح: «**أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ**»(١).

والإجماع: فقد أجمع المسلمون علىٰ إثبات صفة الاستواء للَّه ﷻ. قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُنَّا والتابعون متوافرون نقولُ إن اللَّه تعالىٰ مُستوٍ علىٰ عرشه ونؤمن بما جاءت به السُنة من الصِفات)(٢).

وبين العلو والاستواء فرقان:

الفرق الأول: أن العلو صفة ذاتية، والاستواء صفة فعلية.

الفرق الثاني: أن العلو دل عليه العقل والنقل، وأما الاستواء فقد دل عليه النقل فقط، أما العقل فلا يستقل بإثبات الاستواء، فلو بقي الإنسان يفكر من اليوم إلىٰ يوم الدين هل استوىٰ اللَّه ﷻ علىٰ عرشه

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٠٨)، العلو للذهبي (١/٦٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/٣٨).

وليس عنده دليل نقلي لم يستطع أن يصل إلىٰ نتيجة لولا أن اللَّه أخبرنا أنه استوىٰ وإلا لما أمكننا أن نثبت له الاستواء.

○ ثالثاً: النزول:

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر النزول فقال: **ونزوله كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا علىٰ الوجه اللائق بجلاله وعظمته:**

ونزول اللَّه إلىٰ السماء الدنيا لم يدل عليه القرآن وإنما دلت عليه السنة الصحيحة المتواترة، فقد روىٰ حديث النزول ثمانية وعشرون صحابيًا عن رسول اللَّه ﷺ، ومن أصح ألفاظه ما جاء في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»(١)، فهذا دليل صحيح صريح في إثبات نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ سماء الدنيا.

وما دام الأمر كذلك فإنه لا يحل لأحد كائنًا من كان أن يحرف هذه الصفات: العلو والاستواء والنزول، بل يجب أن تجرىٰ علىٰ ظاهرها اللائق باللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يُتَعَرَّضُ لها بأي نوع من أنواع التحريف، فلا يحل لأحد أن يقول في مسألة العلو: إن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل مكان، ولا يحل له أن يقول: إن اللَّه ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف، فإن الذين أنكروا الجهات الست

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ـ باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مذهبهم يؤدي إلىٰ القول بالعدم، وإنكار وجود الخالق، حتىٰ إن هؤلاء يقولون: لا تجوز الإشارة الحسية إليه، ومن أشار إليه بإصبعه يُكْسَر، سبحان اللَّه! أليس رسول اللَّه ﷺ في حجة الوداع وبين يديه مائة ألف أو يزيدون يقول: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[(١)]، قال جابر يرفع أصبعه إلىٰ السماء وينكت به علىٰ الناس، يشير إلىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

ولا يجوز تحريف الاستواء إلىٰ الاستيلاء كما فعل المتكلمون، الذين قالوا: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ فمذهبهم هذا مخالف للقرآن ومخالف للسنة ومخالف للغة العرب، فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن الأعرابي وغيرهما من أئمة اللغة أن العرب لا تعرف في لغتها استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

أيضًا يلزم علىٰ قولهم استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ لوازم باطلة:

منها: أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حين خَلْقِ السماوات والأرض لم يكن مستوليًا علىٰ العرش لأنه قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلو رفعت كلمة استوىٰ ووضعت استولىٰ لصار معنىٰ الكلام: أن اللَّه تعالىٰ حين خَلْقِ السماوات والأرض لم يكن مستوليًا علىٰ العرش وهذا كفر.

ويلزم علىٰ مقالتهم أن لا يكون للعرش مزية علىٰ بقية المخلوقات؛ لأنه إذا كان استوىٰ عندهم بمعنىٰ استولىٰ فاللَّه مستولٍ علىٰ كل شيء فَلِمَ خص العرش بالذكر في سبعة مواضع.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب كيف الحشر (٦٥٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١).

ويلزم علىٰ قولهم أنه يجوز أن يقول قائل: الرَّحمٰن علىٰ الأرض استوىٰ، الرَّحمٰن علىٰ الشجر استوىٰ، وهكذا وهذا لا يقول به مسلم. فالشاهد أن كل من انحرف عن طريق الكتاب والسنة واخترع من عنده معانٍ مدعاة فإنه يقع في لوازم باطلة، **وفساد اللازم يدل علىٰ فساد الملزوم**.

ولا يحل لأحدٍ أن يحرف النزول فيقول: ينزل ملك من ملائكة ربنا، أو أمر ربنا، أو رحمة ربنا.

فإن هذا عبث من وجوه:

أولاً: لأن النبي ﷺ أسند النزول إلىٰ ربه، فمن ادعىٰ غير ذلك فقد أَكْذَبَ النبي ﷺ.

ثانيًا: الأصل في الكلام عدم الحذف فهؤلاء يَدَّعُونَ محذوفًا بلا دليل وهو: (**أمر**) ربنا، أو: (**ملك من ملائكة**) ربنا.

ثالثًا: إن الذي ينزل يقول: من يدعوني فأسجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، ولا يمكن لملك من ملائكة اللَّه أن يقول من يدعوني، من يسألني، من يستغفرني،

رابعاً: أن منتهىٰ النزول سماء الدنيا، فأي منفعة للخلق من نزول رحمته إلىٰ سماء الدنيا، فلا تبلغهم في الأرض.

خامساً: أن نزول أمره سبحانه لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ينزل كل وقت.

○ **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

ودخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع والبصر والعلم والعلو ونحوها والصفات الفعلية وهي الصفات

المتعلقة بمشيئته وقدرته كالكلام والخلق والرَّزْقِ والرحمة والاستواء علىٰ العرش والنزول إلىٰ السماء الدنيا كما يشاء:

○ صفات الله تعالى نوعان:

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

الصفات الذاتية: هي الملازمة لذاته سبحانه التي لا تنفك عنه أبدًا، فهو متصف بها دوماً، مثل صفة الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة.

والصفات الفعلية: هي المتعلقة بمشيئته وحكمته يفعلها متىٰ شاء كيف شاء إذا شاء، لأنه تعالىٰ (**فعال لما يريد**)، مثل نزوله إلىٰ سماء الدنيا، واستوائه علىٰ عرشه، ورضاه، وسخطه، وفرحه، فنحن نؤمن بجميع الصفات سواء كانت صفات ذاتية أو صفات فعلية.

وتتميمًا لهذا التقسيم نذكر الصفات الخبرية.

فالصفات الخبرية: هي ما يقابلها بالنسبة لنا نحن المخلوقين أبعاض وأجزاء، كالوجه واليدين والعينين والساق، فهذه يسميها العلماء الصفات الخبرية، لأن سبيل إثباتها الخبر فقط.

فطريقة أهل السنة والجماعة إثباتها للَّه ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: وأن جميعها تُثْبَتُ للَّه من غير تمثيل ولا تعطيل، وأنها كلها قائمة بذاته وهو موصوف بها، وأنه تعالىٰ لم يزل ولا يزال يقول ويفعل، وأنه فعال لما يريد.

مرجع الضمير في قوله (**وأن جميعها**) للصفات بنوعيها الفعلية

والذاتية، فجميع صفات اللَّه تثبت للَّه من غير تمثيل ولا تعطيل، كما قال ربنا ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]، وعلىٰ هذا جرىٰ السلف الصالح رحمهم اللَّه وتواترت في هذا الأخبار عنهم، فمن ذلك ما قاله الخطيب البغدادي رحمه الله (أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها علىٰ ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع علي الكلام في الذات يُحْتَذَىٰ في ذلك حَذْوُهُ ومثاله، فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين ﷻ إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا للَّه تعالىٰ يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها اللَّه تعالىٰ لنفسه ولا نقول إن معنىٰ اليد القدرة ولا نقول إن معنىٰ السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار ـ التي هي جوارح وأدوات الفعل ـ، ونقول: إنما ورد إثباتها؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص])[1].

هذه طريقة السلف التي سار عليها الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلىٰ يومنا هذا وإلىٰ يوم الدين، أنهم يثبتون للَّه ﷻ ما أثبت لنفسه من الصفات لا يفرقون بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية، بل يُجْرُونَ الجميع علىٰ ظاهرها اللائق باللَّه ﷻ مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن التمثيل.

---

(١) ذم التأويل (١٥). الدار السلفية الكويت، سير إعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٤) ط الرسالة.

○ وقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنه تعالىٰ لم يزل ولا يزال يقول ويفعل.

لأن كلماته سبحانه لا تنفد، وهو سبحانه يقبض ويبسط ويخفض ويرفع ويأمر وينهىٰ، فلم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج].



❁ صفة الكلام ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، لم يزل بالكلام موصوفًا، وبالرحمة والإحسان معروفًا.

أهل السنة والجماعة يثبتون للَّه تعالىٰ صفة الكلام علىٰ الوجه اللائق به، ويعتقدون أن ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم بكلام حقيقي من حروف وأصوات لا يشبه كلام المخلوقين وقد دل علىٰ ذلك ناطق الكتاب، فمن أدلة ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، والمناداة هي الصوت لمن بعد، والمناجاة هي الصوت لمن قرب، وقوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [الشعراء]، والآيات في هذا لا حصر لها، أحيانًا بذكر الكلام وأحيانًا بذكر القول أو الحديث، أو المناداة، أو المناجاة، وكلامه سبحانه متعلق بمشيئته.

ولهذا قال الشيخ: (إذا شاء).

ويدل علىٰ هذا أن اللَّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقد وقع المجيء أولاً ثم الكلام؟ معتقد أهل السنة والجماعة أن صفة الكلام للَّه عَزَّ وَجَلَّ صفة ذاتية فعلية.

صفة ذاتية باعتبار أصل الصفة، وصفة فعلية باعتبار آحادها وأفرادها، فهو (قديم النوع حادث الآحاد)، ومعنىٰ ذلك أن صفة

الكلام للرب سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية الملازمة لذاته سبحانه كعلمه وسمعه وبصره وإرادته، لم يزل متكلمًا لكن كلامه سبحانه متعلق بالوقائع حسب ما تقتضيه حكمته، فقد تكلم قُدْمًا بالتوراة، ثم تكلم بالزبور، ثم تكلم بالإنجيل، ثم تكلم بالقرآن، كلم سبحانه وتعالى الأبوين في الجنة: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ويتكلم سبحانه يوم القيامة كما أخبر أنه يقول لعيسىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فكلامه سبحانه يتجدد بحسب الوقائع؛ ولذا قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء].

وقوله: (كيف شاء)، أي أن كيفية كلام الرب لا يعلمها إلا هو سبحانه كسائر صفاته لا نحيط بها علمًا ولا تبلغها عقولنا ولا تدركها أوهامنا.

فربنا عز وجل يتكلم بكلام حقيقي وكلامه سبحانه حروف، والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فالجملة بعدها جملة مَقُول القَوْلِ مكونة من حروف، ويتكلم سبحانه بصوت مسموع يسمعه من شاء من خلقه، كما جاء في الحديث الصحيح في أحوال يوم القيامة: «**فَيُنَادِي بِصَوْتٍ**»(١)، فأثبت النبي ﷺ لربه الصوت.

○ مقالات أهل البدع في صفة الكلام:

وقد ضل في هذا الباب طوائف كثيرة من أهل البدع ولهم في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ (٣٣٦٥).

ذلك مقالات باطلة:

١ ـ **مقالة الفلاسفة**: يقولون إن **كلام الرب فيض من العقل الفعال على بعض النفوس الزاكية** يوجب لها تهيؤات تتحول إلى أشكال نورانية وأصوات تسمعها الآذان، ويقصدون بالنفوس الزاكية نفوس الأنبياء، ويقصدون بالتهيؤات والصورات الوحي والملائكة.

٢ ـ **مقالة غلاة الصوفية من الاتحادية والحلولية**: يقولون إن **كل كلام في الوجود فهو كلام الرب** ﷻ، بناءً على عقيدتهم الكفرية الباطلة وهي عقيدة وحدة الوجود، ويزعمون أن اللَّه حَالٌّ في الخلق متحد بهم، تعالى اللَّه عما يقولون، وناتج ذلك أن كل كلام تسمعه الآذان فهو كلام الرب، حتى قال شاعرهم:

وكل كلامٍ في الوجود كلامه   سواءٌ علينا نثره ونظامه

فعندهم أن أصوات الآدميين والطيور والحيوانات والبهائم وأزيز الآلات والمحركات كلام للَّه، تعالى اللَّه عما يقولون.

٣ ـ **مقالة الجهمية والمعتزلة**: يقولون: **إن كلام اللَّه** ﷿ **ليس صفة من صفاته، وإنما هو مخلوق**، أضافه إلى نفسه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، كقوله بيت اللَّه، ناقة اللَّه، عبد اللَّه، الإضافة إضافة مخلوق إلى خالقه، فكذلك عندهم كلام اللَّه، ولهذا قالوا القرآن مخلوق.

٤ ـ **مقالة الأشاعرة**: قالوا: إن **كلام اللَّه هو المعنى القديم القائم بنفسه**، وأمَّا الحروف والأصوات فهي مخلوقة وهي عبارة عن كلام اللَّه وليست كلام اللَّه أي أن كلام اللَّه هو المعنى فقط وليس الحرف والصوت. **وقريب من قولهم**، هو قول **الكُلَّابِيَّة** المنسوبين إلى عبد اللَّه بن سعيد بن كلاب، يقولون: **كلام اللَّه هو المعنى**

القديم القائم بنفسه والحروف والأصوات مخلوقة، وهي حكاية عن كلام اللَّه.

كل هذه الأقوال المبتدعة أقوال لا يقبلها العقل، وتأباها الفطرة السليمة، ويجزم الإنسان جزمًا أكيدًا أن الصحابة رضوان اللَّه عليهم ما فهموا ما فهمه هؤلاء، وإنما فهموا أن الرب ﷻ يتكلم بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته لا يشبه كلام المخلوقين، وأنه ﷻ يتكلم متىٰ شاء كيف شاء بما شاء، هذا الذي فهمه الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، وهذا الذي يفهمه كل إنسان سَوِيِّ الفطرة في هذا الزمان وفي كل زمان.

○ القرآن كلام الله:

ولمَّا ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة الكلام للَّه ﷿ أردف هذا بالحديث عن بعض أنواع كلامه وهو القرآن العظيم فقال:

ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام اللَّه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه المتكلم به حقًا، وأن كلامه لا ينفد ولا يبيد.

(**ودخل في ذلك**): أي في الإيمان بكلام اللَّه.

(**القرآن كلام اللَّه**): هذه أول جملة، والدليل عليها قول ربنا ﷿: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، إذا جاءنا مشرك مستأمن واستجار بنا فالواجب علينا أن نجيره، ونأتي بقارئ يقرأ عليه القرآن لأن اللَّه أمر نبينا ونحن تبعٌ له، فقال: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، نسمعه القرآن أي نقرأ عليه القرآن، إذًا هذا المسموع هو كلام اللَّه قطعًا، إذًا القرآن كلام اللَّه.

(**منزل**): هذه الجملة الثانية، والأدلة عليها كثيرة جدًا في كتاب

اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ [الحشر: ٢١]، والآيات في إثبات أن القرآن منزل أكثر من أن تحصر.

(**غير مخلوق**): لأنه صفة الرب، ولا يمكن أن تكون صفة من صفات الرب مخلوقة، فعن عكرمة قال: كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال اللهم رب القرآن أوسع عليه مداخله اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت إليه ابن عباس فقال: مه القرآن كلام اللَّه وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود[(١)].

والمعتزلة الذين تسلطوا علىٰ أهل السنة والجماعة زمن الخليفة العباسي المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، أرادوا حمل الناس علىٰ القول بأن القرآن مخلوق، ومرادهم بهذا أن يعتقدوا أن صفة الكلام مخلوقة، واللَّه ﷻ لا يمكن أن تكون صفة من صفاته مخلوقة، فيؤدي ذلك إلىٰ نفي الصفات عن اللَّه، وهو أساس مذهب المعتزلة والجهمية.

ولكن أهل السنة تفطنوا لهذا وقام إمامهم أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وجوه المبتدعة ونصر اللَّه به السنة كما نصر بأبي بكر الصديق الإسلام عام الردة، وحفظ اللَّه عقيدة أهل السنة والجماعة بهذا الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

(**منه بدأ**): أي أن اللَّه تعالىٰ تكلم به ابتداءً، فهو صادر منه، لا أنه خلقه في غيره كما تقول المعتزلة والجهمية، ومن عجيب هذه المقالات أنك إذا قلت لمعتزلي أو أشعري ما هو الصوت الذي

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٦٤)، مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٤١٨).

سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشجرة، أليس كلام اللَّه؟ لا، هذا صوت خلقه اللَّه في الشجرة ليعبر عن كلامه! وهذا تحريف متعسف فكل مؤمن يقرأ هذه الآيات: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص]، يعلم أن المتكلم هو اللَّه رب العالمين وأن الكلام الذي سمعه موسىٰ هو كلام رب العالمين، وإذا قلت لهم: ما هو الصوت الذي سمعه الأبوان في الجنة: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٢﴾ [الأعراف]، قال هؤلاء المتكلفون المتهوكون: هذا صوت خلقه اللَّه في جو الجنة ليعبر عن كلامه، وليس هو كلامه.

هذا زعم باطل، والحق أن ما سمعه الأبوان، وما سمعه موسىٰ، وما سمعه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج هو كلام الرب حقيقة، وكذلك ما يسمعه جبريل حينما يتكلم اللَّه تعالىٰ بالوحي فإنه كلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، منه بدأ.

(**وإليه يعود**): قال العلماء: في هذا إشارة إلىٰ ما ورد في بعض الآثار من أن القرآن العظيم يُسْرَىٰ عليه في آخر الزمان من السطور ومن الصدور، فيصبح الناس وليس في المصاحف قرآن، وليس في صدر أحد آيات تتلىٰ.

فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْرُسُ الإِسْلاَمُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، لاَ يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ وَلاَ صَدَقَةٌ وَلاَ نُسُكٌ، وَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلاَ يَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ...»[(١)].

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٤٩)، المستدرك(٨٤٦٠) قال الحاكم إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه،وقال ابن حجر إسناده قوي فتح الباري (١٣/١٦)، وصححه الألباني السلسة الصحيحة (٨٦)..

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُبْعَثَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ، فَيَكْفِتُ اللَّهُ بِهَا كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةِ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا: مَاتَ شَيْخٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَمَاتَتْ عَجُوزٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَيُسَرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ، فَيُرْفَعُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَمُرُّ بِهَا الرَّجُلُ فَيَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ، وَيَقُولُ: فِي هَذِهِ كَانَ يَقْتَتِلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، وَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا)[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ليُسْرَيَنَّ على القرآن ذات ليلة ولا يترك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت)[٢].

وعن شداد بن معقل، قال: سمعت ابن مسعود، يقول: (إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقىٰ من دينكم الصلاة، وليصلين قوم لا دين لهم، ولينتزعن القرآن من بين أظهركم. قالوا: يا أبا عبد الرَّحمٰن، ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: «يسرىٰ علىٰ القرآن ليلا فيذهب به من أجواف الرجال فلا يبقىٰ في الأرض منه شيء»)[٣].

وعن ابن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت

---

(١) صحيح ابن حبان (٦٨٥٣)، والمستدرك (٨٥٤٤).
(٢) سنن الدارمي (٣٣٤٣)، وحسن إسناده حسين سليم أسد.
(٣) مصنف عبد الرزاق (٥٩١٨)، مصنف ابن شيبه (٣٧٥٨٥)، المستدرك (٨٥٣٨)، المعجم الكبير للطبرني (٨٧٠٠)، سنن سعيد بن منصور (٩٧)، كلهم من طريق عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن ابن مسعود، قال الحاكم: حديث صحيح ولم يخرجاه، وقال ابن حجر في الفتح(١٣/ ١٦): سنده صحيح لكنه موقوف.

مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام اللَّه منه بدأ وإليه يعود[(١)].

وعنه قال: أدركت الناس وقد أدرك أصحاب رسول اللَّه فمن دونهم منذ سبعين سنة كلهم يقولون اللَّه جل اسمه الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام اللَّه تعالىٰ منه خرج وإليه يعود[(٢)].

قال ابن رجب: (أول ما يرفع من العلم، العلم النافع، وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها، ويبقىٰ علم اللسان حجة، فيتهاون الناس به، ولا يعملون بمقتضاه، لا حملته ولا غيرهم، ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته، فلا يبقىٰ إلا القرآن في المصاحف، وليس ثم من يعلم معانيه، ولا حدوده، ولا أحكامه، ثم يسرىٰ به في آخر الزمان، فلا يبقىٰ في المصاحف ولا في القلوب منه شيء بالكلية، وبعد ذلك تقوم الساعة)[(٣)].

فهذا العود يقع في آخر الزمان، إنما يكون إذا هُجِرَ بالقرآن، إذا هجرت تلاوته وتدبره والعمل به، فإن اللَّه ﷻ يكرم كلامه أن يكون بين ظهراني قوم يهجرونه فَيُرْفَعُ من السطور ومن الصدور.

(**وأنه المتكلم به حقًّا**): القرآن كلام اللَّه حقيقة لا مجازًا، وهو كلام اللَّه حروفه ومعانيه، ليس المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، فالأشاعرة والكُلَّابِيَّة ومن وافقهم كالسَّالِمِيَّة وغيرهم من الفرق يقصرون كلام اللَّه علىٰ المعاني دون الحروف.

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٣٦٨) (٢/٢٣٦)، الحجة في بيان المحجة (١/٣٦٨).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٣٦٨) (٢/٢٣٦)، الحجة في بيان المحجة (١/٣٦٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٣٤٣).

ويجب التفريق بين الكتابة والمكتوب، والتلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء، والتسجيل والمسَجَّل، فالتلاوة فعل المخلوق والمتلو كلام الخالق، والكتابة فعل المخلوق والمكتوب كلام الخالق، والتسجيل فعل المخلوق والمسَجَّل كلام الخالق.

فقد يظن بعض الناس أن المصحف بأوراقه وجلده وحبره أنه غير مخلوق، كلا فالورق والحبر والجلد ونحوها مخلوقة قطعًا، ولهذا نلاحظ أنها تصنع وتبيد وتفنىٰ، لكن مضمونها الذي جُعِلَ فيها هو كلام اللَّه ﷻ غير مخلوق، كذلك حينما يتكلم متكلم ويتلفظ بالقرآن العظيم، فالتلفظ نفسه؛ من تحريك الشفتين واللسان؛ والحنجرة هذا مخلوق قطعًا؛ لأنه فعل الآدمي، لكن الملفوظ كلام اللَّه غير مخلوق وعلىٰ هذا قس.

فالقرآة فعل القارئ، والمقروء كلام البارئ، والكتابة فعل الكاتب، والمكتوب في المصاحف كلام اللَّه، لأن الكلام إنما ينسب إلىٰ من قاله مبتدئاً، لا إلىٰ من قاله مبلغًا ومؤديًا.

فلو أن إنسانًا قام علىٰ المنبر وقال: أيها الناس من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج... إلىٰ آخر الخطبة المشهورة، فإن قال قائل: خطبة من هذه؟ قلنا هذه خطبة قس بن ساعدة الإيادي، ولا نقول خطبة هذا القائم؛ لأن الكلام إنما ينسب إلىٰ من قاله مبتدءًا لا إلىٰ من قاله مؤديًا ومبلغًا.

ولو أنشدنا رجل فقال:

قِفا نَبْكِ من ذكرىٰ حبيبٍ ومنزلِ

بسِقطِ اللِّوىٰ بين الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

فقال قائل: شعر من هذا؟ لقلنا: هذا شعر امرئ القيس؛ لأنه هو الذي قالها ابتداءً، ولا نقول: شعر هذا المنشد فقد أنشدنا إياها مبلغًا ومؤديًا، لأن الكلام إنما ينسب إلىٰ من قاله مبتدءًا لا إلىٰ من قاله مبلغًا ومؤديًا.

فمثله: لو تلىٰ تالٍ القرآن، فإننا نقول هذا كلام اللَّه ﷻ، لا نقول هذا كلام فلان.

(**وأن كلامه لا ينفد ولا يبيد**): القرآن بعض كلام اللَّه وليس كل كلام اللَّه، كلام اللَّه ﷻ لا ينفد ولا يبيد، والدليل علىٰ ذلك، قول اللَّه ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فلو أن كل ما في الأرض من شجر بُرِيَتْ أقلامًا، وصار البحر ومن بعده سبعة أبحر حِبْرًا ومدادًا وكتب بها كلمات اللَّه ما نفدت كلمات اللَّه، تفنىٰ الأقلام ويفنىٰ المداد ولا تفنىٰ كلمات اللَّه، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف]، مدادًا أي حبرًا.

○ **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ودخل في ذلك.

أي في الإيمان بصفات اللَّه ﷻ.

الإيمان بأنه قريب مجيب، وأنه مع ذلك عَلِيٌّ أعلىٰ، وأنه لا منافاة بين كمال علوه وكمال قربه؛ لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته

والدليل علىٰ ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وجاء في الحديث الصحيح **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ**[1] **فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ»**[2].

وليس من لازم قربه سبحانه أن يكون حالًّا بين خلقه تعالىٰ اللَّه عن ذلك، بل هو سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه، فهو سبحانه قريب في علوه، عَلِيٌّ في دنوه، فهو وإن كان فوق سماواته مستوٍ علىٰ عرشه ليس فوقه شيء، إلا أنه أقرب إلىٰ كل أحد من كل شيء، قال ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق]، كما قال النبي ﷺ: «**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[3]، فلا منافاة بين هاتين الصفتين؛ وقد يشكل هذا علىٰ بعض الناس، فيقول: كيف يجتمع علو وقرب؟ نقول: للَّه المثل الأعلىٰ، فلا منافاة بين العلو والقرب، فقد يكون في حق المخلوقين أن الشيء إذا كان عاليًا شاهقًا لا يكون قريبًا، لكن اللَّه تعالىٰ ليس كمثله شيء، وما دام أن النصوص جمعت بينها فنحن نُسَلِّمُ بما جاءت به النصوص.

وها نحن في هذا العصر نرىٰ أشياء بعيدة بالغة البعد في علوها

---

(١) أي ابقوا علىٰ أنفسكم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ـ باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ـ باب استحباب خفض الصوت والذكر (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومع ذلك قريبة، الرجل يكون في الطائرة ويتكلم بالهاتف مع من في الأرض، بل إنهم يذهبون إلىٰ الفضاء الخارجي ويتصلون بمن في الأرض فيجتمع في حقهم علو وقرب، وربما يرون صور بعضهم بعضًا، فإذا كان هذا يتحقق في المخلوقات فلأن يكون متحققًا في حق اللَّه من باب أولىٰ وأحرىٰ.

○ **ثم قال** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا يتم توحيد الأسماء والصفات حتىٰ يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والصفات والأفعال وأحكامها علىٰ وجه يليق بعظمة الباري، ويعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته:

نحن مأمورون أن نؤمن بكل ما أخبر اللَّه تعالىٰ به، ومنهيون أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، فقد أنكر اللَّه عَزَّوَجَلَّ علىٰ اليهود فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، فيا عجبًا لقوم أثبتوا بعض الصفات وأنكروا الباقي.

وعلىٰ سبيل المثال، فالأشاعرة يثبتون سبع صفات، يسمونها صفات المعاني، ويحرفون الصفات الفعلية، فإذا قيل لأحدهم: هل اللَّه عَزَّوَجَلَّ متصف بالسمع والبصر؟ قال: نعم، وإذا قيل: هل اللَّه عَزَّوَجَلَّ متصف بالرضا والسخط؟ قال: لا، المقصود بالرضا إيصال النعمة إلىٰ المرضي عنه، والسخط إيصال الأذىٰ والعقوبة إلىٰ المسخوط عليه، قلنا سبحان اللَّه! لماذا فرقت بين متماثلين؟ أليست هذه الصفات جميعها أثبتها الرب لنفسه؟ فيقول: لكن سمع اللَّه وبصر اللَّه يليقان به، قلنا: أيضًا رضا اللَّه وسخط اللَّه يليقان به، فلا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته، فهم في الحقيقة متناقضون.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد في ختام حديثه عن الصفات أنه لا يتم توحيد الأسماء والصفات حتىٰ يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة، فإياك أيها المؤمن إذا جاءك وصف في الكتاب والسنة أن تستشنعه أو تَجْفُلَ منه. ما دام ورد ذلك في كتاب اللَّه أو صح في سنة رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاقبله وطب به نفسًا وقر به عينًا واعلم أنه ثابت علىٰ الوجه اللائق باللَّه، وهكذا كان الصحابة رضوان اللَّه عليهم ففي حديث لقيط بن عامر بن المنتفق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو حديث طويل جّوَّدَ إسناده ابن القيم وغيره أنه سمع رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ غِيَرَكُمْ إِلَىٰ قُرْبٍ**». قَالَ لَقِيطٌ قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا[(١)]، فهذا الصحابي باق علىٰ الفطرة السوية علم أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ له ضحك يليق به وتفاءل بذلك علم أن الضحك يثمر الخير والعفو والصفح والمغفرة، ولم يتبادر إلىٰ ذهنه ما يتبادر إلىٰ أذهان المتكلمين حينما يسمعون هذه الصفات، فيتخيل أحدهم شفتين وأسنانًا ولهوات وغير ذلك؛ لأن الصحابة رضوان اللَّه عليهم يعلمون أن اللَّه ليس كمثله شيء، وأن ما أضافه الرب إلىٰ نفسه فهو لائق به، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات، أما المتكلمين من أصناف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من الطرق الضالة فإنهم إذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها تبادرت إلىٰ أذهانهم لوثة التشبيه والتمثيل ففزعوا، وهربوا من التمثيل ووقعوا في التعطيل كمن هرب من الوقوع في حفرة فوقع في حفرة مقابلة.

والواجب كما أسلفنا أن نثبت للَّه عَزَّ وَجَلَّ إثباتًا بلا تمثيل، وأن ننزه

---

(١) مسند أحمد (١٦٢٠٦).

اللَّه تعالىٰ تنزيهًا بلا تعطيل.

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات علىٰ غير معناها المعروف فقد ضل ضلالاً مبينًا.

في هذا إشارة إلىٰ ما يدعيه المتكلمون من التأويل، والمتكلمون هم يحاولون **إثبات العقائد الدينية بالطرق العقلية دون الكتاب والسنة**، فيسميهم السلف المتكلمون لأن بضاعتهم الكلام لا السنن والآثار، فالعقل سيدهم وإمامهم، فما أثبته العقل أثبتوه وما نفاه العقل نفوه حتىٰ وإن خالف الكتاب والسنة، فهم من أهل الإسلام، لكنهم ضيعوا أعمارهم فيما لا طائل من ورائه، هجروا الكتاب والسنة واشتغلوا بعلم الكلام الذي أقاموه علىٰ قواعد المنطق اليوناني، منطق أرسطو خاصة، وهجروا علوم الكتاب والسنة فضلوا وأضلوا.

ومما ينبئ عن فساد طريقة القوم وكساد تجارتهم ما قاله الرازي، وهو من أساطينهم، عمدة في المذهب الأشعري، أنشد أبياتًا قال فيها:

نهاية إقدام العقول عقالُ	**وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ**
وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومنا	**وغايةُ دُنيانا أذًىٰ ووبالُ**
ولم نستفد من بحثنا طول عمرِنا	**سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا**

ثم قال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية فلم أرها تروي غليلاً ولا تشفي عليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أَقْرَأُ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فأثبت الاستواء، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فأنزه

اللَّه) ثم قال: (ومن جرب تجربتي عرف معرفتي)[١]، لكن حصلت له تلك المعرفة في أواخر عمره بعد أن سَوَّدَ الصفحات، وملأ الدنيا بالمناظرات، وَقَعَّدَ القواعد علىٰ شفا جرف هار.

وقال أبي المعالي الجويني: (لقد خُضْتُ البحر الخِضَمَّ وتركت علوم أهل الإسلام، وها أنا ذا أموت علىٰ عقيدة أمي وويل لابن الجويني إن لم يغفر اللَّه له)[٢]، أي أنه لم ينتفع من علم الكلام الذي تعلمه ونشره، وخاض البحر الخِضَمَّ وهو علم الكلام والنقاش والفلسفة، ثم آل عند موته إلىٰ عقيدة أمه، أو كما قال عفا اللَّه عنه.

فالمقصود بيان أن اللَّه رحمنا وعافانا، فلا حاجة لنا إلىٰ الفلسفة ولا إلىٰ المنطق ولا إلىٰ غير ذلك من علوم اليونان، أتانا اللَّه ﷻ بهذا الدين شفاءً لما في الصدور وهدىٰ ورحمة، وفي كتاب اللَّه غُنْيَة عما سواه، وفي كلام نبيه ﷺ ما يشفي ويكفي.

والخبر إذا كان صادرًا عن علم، ونصح، واجتمع فيه البيان والفصاحة والصدق، فإنه يتعين قبوله، ويمتنع رده، لتوفر أسباب القبول وهي:

أولاً: العلم. فلا أحد أعلم باللَّه من اللَّه.

ولا أحد أعلم باللَّه من رسول اللَّه ﷺ.

ثانيًا: الصدق. لا أحد أصدق من اللَّه قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ١٢٢﴾ [النساء].

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٣/١٧)، تاريخ الإسلام (٢١٨/٤٣)، سير إعلام النبلاء (٥٠١/٢١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧٣/٤)، الصواعق المرسلة (٦٦٤/٢).

ولا أحد أصدق من رسول اللَّه ﷺ.

ثالثًا: البيان. لا أحد أحسن حديثًا من اللَّه.

ولا أحد أفصح من رسول اللَّه ﷺ.

رابعًا: النصح. لا أحد أنصح للأمة من رسول اللَّه ﷺ.

فاجتماع هذه الأمور الأربعة: **علم، وصدق، وبيان، ونصح**، يقتضي قبول الخبر؛ لأن الإنسان لا يرد خبرًا من الأخبار إلا بسبب جهل قائله، أو كذبه، أو فَهَاهَتِهِ وعدم بيانه، أو غشه وعدم نصحه، فإذا انتفت هذه الأمور وثبت ضدها وجب علينا قبول الخبر، فلهذا يجب علينا أن نقبل خبر اللَّه ورسوله وألا نتعداه إلىٰ نوع من أنواع التحريف والتأويل.



❁ أفعال العباد ❁

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يتم توحيد الربوبية حتىٰ يعتقد العبد أن أفعال العباد مخلوقة للَّه وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة اللَّه.

عاد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ تفصيل ما تقتضيه الربوبية، وتحديدًا مسألة القدر فقال:

أفعال العباد مخلوقة للَّه.

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأن لهم أفعالاً وإرادة تقع بها أفعالهم وهي مُتَعَلَّقُ الأمر والنهي:

لا يتم الإيمان بالقدر حتىٰ يؤمن الإنسان بأن اللَّه تعالىٰ **خالق كل شيء**، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان]، فليس إلا خالق أو مخلوق، فاللَّه الخالق وما سواه مخلوق.

وعلىٰ هذا، فأفعال العباد؛ وحركاتهم، وسكانتهم، وقيامهم، وقعودهم، مخلوق للَّه، لأن كل ما سوىٰ اللَّه فهو مخلوق للَّه، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات]، ومشيئتهم تابعة لمشيئة اللَّه. والدليل قول ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير]، والدليل من الواقع أنك تشاء الشيء وتسعىٰ في سبيله وتوفر له كافة الأسباب ثم يُحَالُ بينك وبينه؛ لأن اللَّه لم يشأه. وإذا شاءه اللَّه تم مرادك.

وليس معنىٰ قولنا إن أفعال العباد مخلوقة للَّه وأن مشيئة العباد تابعة لمشيئة اللَّه أن العباد مسلوبون الإرادة والفعل والمشيئة كلا!، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن العباد لهم إرادة ولهم مشيئة ولهم فعل يتصرفون به ويثابون ويعاقبون بناءً عليه.

ولهذا انقسم الناس في هذه المسألة؛ مسألة أفعال العباد إلىٰ طرفين ووسط:

- طرف غَلَوْا في إثبات أفعال اللَّه حتىٰ سلبوا العبد فعله ومشيئته وهؤلاء يقال لهم الجبرية، وقالوا: العبد مجبور علىٰ فعله وحركاته وأفعاله اضطرارية كحركات المرتعش.

- وطرف غَلَوْا في إثبات أفعال العباد حتىٰ أنكروا قَدَرَ اللَّه، وهؤلاء هم القدرية، فقالوا: العبد يخلق فعل نفسه دون اللَّه، تعالىٰ اللَّه عما يقولون، فيقولون: إن العبد هو الذي يخلق صلاته، وهو الذي يخلق صيامه، وهو الذي يخلق فجوره، وزناه ومعصيته وغير ذلك وليس اللَّه.

- وتوسط أهل السنة والجماعة بين الفريقين، فقالوا: إن للعباد إرادة ومشيئة وفعل واختيار حقيقي، لكنه داخل تحت مشيئة اللَّه وإرادته وفعله، والدليل علىٰ ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]، فهذا هو مذهب أهل السنة في باب أفعال العباد.

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنه لا يتنافىٰ الأمران إثبات مشيئة اللَّه العامة الشاملة في الذوات والأفعال والصفات، وإثبات قدرة العبد علىٰ أفعاله وأقواله.

وهذا أمر دل عليه الشرع، ودل عليه الواقع، فأنت الآن تفرق بين

أفعالك الإرادية وأفعالك الاضطرارية، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، يقومون بمحض إرادتهم كما أن العبد يعصي ربه بمحض إرادته وسبق إصراره، فلما كان الأمر كذلك رَتَّبَ الشارع الثواب والعقاب عليهما، فقال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»(١).

ولا حجة للمبطل بالاحتجاج بالقدر علىٰ فعل المعاصي وترك الطاعات، فيقول: لو كتب اللَّه لي أن أصلي لصليت، فيحتج بقدر اللَّه علىٰ معصيته.

والرد عليه من وجوه:

الدليل الأول: قول اللَّه ﷻ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، **فأبطل اللَّه هذه الدعوىٰ من ثلاثة أوجه:**

الأول: قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾، فسمىٰ حجتهم كذبًا والكذب هو مخالفة الخبر للواقع.

والثاني: قوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾، وما كان اللَّه ليذيقهم بأسه لو كانت حجتهم صحيحة؛ لأن اللَّه حكم عدل مقسط لا يظلم مثقال ذرة، فلو كان لهم حجة في القدر ما أذاقهم اللَّه بأسه.

الثالث: قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام]، أي هل اطلعتم علىٰ كتابكم ورأيتم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام ـ باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ.

في اللوح المحفوظ أنكم تشركون وأنكم تُحَرِّمُونَ ما أحل اللَّه ففعلتم ذلك بناءً علىٰ علم سابق؟ والجواب لا، لم يطلعوا علىٰ كتابهم ولم يعلموا، وإنما علموا أن اللَّه قدر عليهم ذلك بعد الفعل.

ولهذا إذا قال لك مبطل: كتب اللَّه علي أن أشرب الخمر، فقل له: متىٰ علمت أن اللَّه كتب عليك شرب الخمر قبل أن تشرب أم بعد أن شربت؟ لا يستطيع أن يقول: إن اللَّه كتب علي هذا قبل الشرب، لأنه لم يطلع علىٰ كتابه. ولو قُدِّرَ أنه اطلع علىٰ اللوح المحفوظ ـ وأنىٰ له ذلك ـ فوجد أنه يشرب الخمر عذرناه وصار له في ذلك حجة، لكنه لم يعلم بأن هذا هو قدره إلا بعد أن فعله ووقع فيه بسبق إصرار، وعلىٰ علم بأن هذا مما حرمه اللَّه وأنه يوجب عقوبة اللَّه.

الدليل الثاني: من السنة: عن علىٰ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ**»، فقالوا: يا رسول اللَّه أفلا نتكل علىٰ كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**». وفي رواية: «**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَىٰ**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]»[(١)]، فالنبي ﷺ لم يَكِلْهُمْ إلىٰ كتابهم، ولم يجعل الإيمان بالقدر حجة علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ باب فسنيسره للعسرىٰ (٤٩٤٩)، ومسلم في كتاب القدر ـ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فعل ما يبدر من العبد، بل قال: «**اعْمَلُوا**»، أي اعملوا بما أمركم اللَّه تعالىٰ به فامتثلوا الأوامر واجتنبوا النواهي «**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**».

وعلىٰ هذا، فالواجب علىٰ الإنسان ألا يُشْغِلَ ذهنه وبالتفكير بالقدر؛ لأن القدر غيب مستور وحجاب مكنون لا سبيل للعلم بما قدره اللَّه ﷻ، فلا تتعب نفسك وتقول: يمكن، ربما، لعل، فاللَّه تعالىٰ أخفىٰ عنك القدر وأظهر لك الشرع، فدع القدر وأقبل علىٰ الشرع فما أمرك اللَّه به امتثله وما نهاك عنه اجتنبه. واعلم أنك إن فعلت ذلك فإنك تبلغ دار كرامته ويدفع اللَّه عنك العقوبة في الآخرة.

الدليل الثالث: أنتم لا تحتجون بالقدر في أموركم الدنيوية، تحتجون بالقدر في الأمور الدينية، فلو أن أحدكم قيل له: يا فلان اقعد في بيتك ويأتيك رزقك، لماذا تخرج في البرد القارس بعد صلاة الفجر أو في شدة القيظ بعد صلاة الظهر في طلب الرزق! إن كان اللَّه قد كتب لك رزقًا فسيأتيك ولو كنت في قعر دارك، لم يرضىٰ بهذا؟ بل يذهب يسابق علىٰ الوظائف، ويرتحل من مكان إلىٰ مكان، ويخرج في شدة البرد وشدة الحر، ولو قيل له أليس إن كان اللَّه قد قدر لك رزقاً سيأتيك؟ فسيجيب: لابد من فعل الأسباب، سبحان اللَّه! تحتج بالقدر في الأمور الدينية، ولا تحتج بالقدر في الأمور الدنيوية.

لو قيل لأحدهم وقد أراد أن يتزوج: يا فلان لِمَ تتزوج؟ لقال: حتىٰ تأتيني ذرية، فلو قيل له: إن كان اللَّه قد قسم لك ذرية فستأتيك ولو لم تتزوج، فسيقول: هذا جنون، كيف تأتي الذرية بلا زواج! فنحن نقول أيضًا: الجنة لا تأتي إلا بعمل، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف].

ولما رفع سارق إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمر بقطع يده، قال السارق: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنما سرقت بقضاء اللَّه وقدره فقال عمر: وأنا أقطع يدك بقضاء اللَّه وقدره[1]، بل وبشرع اللَّه أيضًا.

والمقصود أنه لا حجة لأحد بالقدر علىٰ فعل المعاصي وترك الطاعات.



(١) منهاج السنة النبوية (٣/٢٣٤).

❁ الإخلاص ❁

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يتم توحيد العبادة حتىٰ يخلص العبد للَّه تعالىٰ في إرادته وأقواله وأفعاله، وحتىٰ يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كل المنافاة وهو أن يصرف نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه تعالىٰ:

لا يتم توحيد العبادة إلا بالإخلاص، أي تخليص للقلب من الشوائب والعوالق، بأن يُنَقِّيَ العبد أقواله وأفعاله من إرادة غير اللَّه عَزَّوَجَلَّ، وأعظم ما ينافي التوحيد الشرك الأكبر، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وقد سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[(١)]، عَرَّفَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشرك الأكبر بقوله: **وهو أن يصرف نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه تعالىٰ:**

سواءً كانت عبادة قلبية، أو عبادة لسانية، أو عبادة بدنية، أو عبادة مالية، كما بينا هذا من قبل.

○ الشرك نوعان:

قال: **وكمال ذلك.**

أي كمال التوحيد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن، باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنب وبيان أعظمها بعده.

أن يدع الشرك الأصغر وهو كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلىٰ الشرك الأكبر كالحلف بغير واللَّه ويسير الرياء ونحو ذلك.

علمنا من كلام المؤلف أن الشرك نوعان:

شرك أكبر، وشرك أصغر. وبينهما فروق.

الفرق الأول: الشرك الأكبر مخرج عن الملة، والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة.

الفرق الثاني: الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار، والشرك الأصغر صاحبه لا يخلد في النار.

الفرق الثالث: الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، أمَّا الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

وقد عرفه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ **بقوله:**

أنه كل وسيلة قريبة يتوصل بها إلىٰ الشرك الأكبر.

ويمكن أن نعرفه بتعريف آخر وهو: ما ورد من الذنوب تسميته شركًا ولم يصل إلىٰ حد الأكبر، **وقد يكون هذا الشرك بالألفاظ** كما مثل الشيخ بالحلف لغير اللَّه، والحلف يكون بحرف الواو أو بالتاء أو بالباء هذه أحرف القسم الثلاثة، فلو قال إنسان مثلاً: والشمس، فقد حلف بغير اللَّه هذا من الشرك الأصغر.

ونضرب أمثلة سريعة:

قول: ما شاء اللَّه وشئت، أو إني متوكل علىٰ اللَّه وعليك، فيعطف بالواو لا بثم؛ لأن الواو تفيد التسوية، وثم تفيد الترتيب، أو يقول: لولا اللَّه وفلان، أو هذا من اللَّه ومنك، أو أنا باللَّه وبك، أو مالي

إلا اللَّه وأنت، فهذه الواو تفيد أو تُوهِمُ التسوية، والواجب في مثل هذه الأمثلة أن يؤتىٰ بثم بدل الواو.

ومن أمثلة الشرك الأصغر قول بعض الناس: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا، فإنهم لما قالوا ذلك في عهد النبي ﷺ قال النبي ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي، وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ**»(١).

ومن الشرك الأصغر: نسبة النعمة إلىٰ غير المنعم سبحانه وتعالى، مثلما يقول القائل: كان هذا السائق حاذقًا فوصلنا بسرعة، بدون أن يقول: بفضل اللَّه، وبنعمة اللَّه، ونحو ذلك من الأمور، فيجب أن يُنْتَبَهَ لها في الألفاظ.

كذلك يقع في الأفعال: مثل يسير الرياء، كأن يقوم الإنسان ليصلي فيقع في قلبه لدخول إنسان أن يُحَسِّنَ صلاته، لكن لو كان عامة عمل الإنسان رياءً فإنه يبلغ به حد الشرك الأكبر.

وإذا وقع للإنسان رياء في العبادة فهل تحبط العبادة أم لا؟ في هذا تفصيل:

فإن كان الرياء في أصل العبادة فهي باطلة لم تنعقد، كأن يُنْشِأَ إنسان ركعتين لا للَّه عز وجل ولكن يتجمل بهما للناس، فهذه باطلة من أصلها، أما إذا عقد الصلاة مريدًا بذلك وجه اللَّه ثم عرض له في أثناء صلاته خاطر رديء وأراد أن يُزَيِّنَ صلاته لوجود فلان أو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة] (١٠٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

لدخول فلان فهذا إن استعاذ بالله ﷻ وصرف عنه هذا الوارد فصلاته صحيحة، وإن استرسل معه بطلت صلاته؛ لأنها عبادة واحدة، لكن لو قَدَّرْنَا أنها عبادة مكونة من أجزاء كإنسان مثلاً عنده مائة ريال يريد أن يتصدق بها عشرة عشرة فوقع له رياء في العشرة الثالثة أو الخامسة، فلا تحبط زكاته كلها بل يحبط ما خالطه الرياء فقط،

نسأل الله ﷻ أن يطهر قلوبنا وألسنتا وجوارحنا من الشرك الأكبر والأصغر.



❁ تفاوت الناس في التوحيد ❁

لما فرغ الشيخ - رحمه اللَّه تعالىٰ - من ذكر التوحيد بأنواعه والتنبيه علىٰ الشرك بأنواعه، ختم بهذه الخاتمة الجامعة النافعة المفيدة.

○ **فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

والناس في التوحيد علىٰ درجات متفاوتة بحسب ما قاموا به من معرفة اللَّه والقيام بعبوديته، فأكملهم في هذا الباب من عرف مِنْ تفاصيل أسماء اللَّه وصفاته وأفعاله وآلائه، ومعانيها الثابتة في الكتاب والسنة، وفهمها فهمًا صحيحًا فامتلأ قلبه من معرفة اللَّه وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه وانجذاب جميع دواعي قلبه إلىٰ اللَّه تعالىٰ متوجهًا إليه وحده لا شريك له، ووقعت جميع حركاته وسكناته في كمال الإيمان والإخلاص التام الذي لا يشوبه شيء من الأعراض الفاسدة، فاطمأن إلىٰ اللَّه تعالىٰ معرفة وإنابة وفعلاً وتركًا وتكميلًا لنفسه وتكميلًا لغيره بالدعوة إلىٰ هذا الأصل العظيم فنسأل اللَّه من فضله وكرمه أن يتفضل علينا بذلك.

إن التوحيد ليس متنًا يحفظ ولا قواعد تستظهر، بل هو حقيقة تقوم في القلب وتظهر آثارها علىٰ الجوارح، فلهذا كان الناس كما قرر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ درجات متفاوتة في هذا الأصل العظيم فمن الناس من يبلغ في التوحيد أعلىٰ الدرجات، كإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بلغ به توحيد اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن قَدَّمَ مَحَابَّ اللَّه وَمَرَاضِيهِ علىٰ مَحَابِّ نفسه، حتىٰ إنه لمَّا أمره ربه أن يذبح ابنه، فلذة كبده، قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي

ﱡﭐ ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﱠ [الصافات: ١٠٢]، ولم يكن يستشيره، ولكنه يتلطف إليه بالعرض، فما تدري أتعجب من الأب أم تعجب من الإبن، ﱡﭐ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﱠ [الصافات]، قال اللَّه ﷻ: ﱡﭐ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا ﱠ [الصافات: ١٠٣]، هذا هو التوحيد، أي استسلما للَّه، وخَلَّصَا قلبيها من التعلق بما يخالف مراد اللَّه، ووقع ذلك بالقول والعمل، فقال: ﱡﭐ وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ﱠ [الصافات]، كما يصنع من يريد أن يذبح الشاة؛ حين يشد رأسها ليجر السكين علىٰ الحلق، حينئذ أوقع مراد اللَّه ﷻ وحقق التوحيد، قال تعالىٰ: ﱡﭐ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ ﱠ [الصافات].

وحين ألقاه قومه من شاهق، في النار المضطرمة وهو يرىٰ ألسنة اللهب تحته ويعلم أنه عما قريب يصبح شواءً تأكله النار، عَرَضَ له جبريل وقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلىٰ اللَّه فبلىٰ، وكان يقول: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل[(١)].

فهذا إمام الموحدين في الأولين، إبراهيم عليه السلام.

وإمام الموحدين في الآخرين محمد بن عبد اللَّه ﷺ لما أحاطت به قريش ووقفوا علىٰ فم الغار في الهجرة قال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول اللَّه لو نظر أحدهم موضع قدميه لرآنا، فقال له: «**لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»[(٢)].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ٤٦٧) الرسالة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ـ باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر رضي الله عنه (٣٦٥٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فبهذا نعلم أن التوحيد درجات متفاوتة؛ من الناس من يخلص قلبه للَّه ﷻ فيأتي بقلب سليم، قال ربنا ﷻ على لسان نبيه إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

قال ابن القيم رحمه الله: (القلب السليم: هو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر اللَّه ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة اللَّه مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق)[1].

ومن الموحدين من يشوب توحيدهم نوع رياء، نوع حضور دنيا، نوع شهوات، نوع شبهات، فهو سلَّم متفاوت المراتب فالناس فيه ليسوا سواءً بل يتفاوتون بحسب ما قاموا به من معرفة اللَّه والقيام بعبوديته.

وأكمل الناس إيمانًا من قام في قلبه من معرفة اللَّه بمقتضى أسمائه وصفاته أكثر من غيره، ولهذا ينبغي على كل مؤمن أن يتعلم هذا الباب؛ باب العلم باللَّه بأسمائه وصفاته ومعرفة معانيها وآثارها ومقتضياتها، فإنها إذا وَقَرَت في القلب وسكنته نشطت الجوارح لعبادة الرب سبحانه وتعالى فيُورِثُهُ محبة اللَّه والانقياد إليه وخوفه ورجائه، وهذه هي أمهات العبادات القلبية، فتأتي أعماله كلها موافقة لمراد اللَّه سبحانه وتعالى وينال بذلك درجة الصديقية.

والصّدّيق: هو الذي بلغ الغاية في التصديق، ثم إنه لا يبقى على

(١) إغاثة اللهفان (١/٧).

هذا بل يحمله ذلك علىٰ تكميل غيره كما كَمَّلَ نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح بدعوة غيره إلىٰ دين اللَّه ودلالتهم علىٰ سبل الهدىٰ، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

مثل المؤمن كمثل رجل يحمل في يده مشعلاً مضيئًا يضيء لنفسه ويضيء لغيره، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]، فإذا استنار القلب بنور الإيمان جعل اللَّه لصاحبه فرقانًا بين الحق والباطل وأذهب عنه الحَزَنَ وشرح صدره وأنار قلبه ووفقه إلىٰ كل هدىٰ.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتتفاوت درجات نور لا إله إلا اللَّه، في قلوب أهلها، لا يحصيها إلا اللَّه تعالىٰ، فمن الناس من نور لا إله إلا اللَّه في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيىٰء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، علىٰ هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علما وعملا، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم، أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث إنه ربما وصل إلىٰ حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه)[١].



(١) العقيدة الطحاوية (١/ ٣٣١).

❁ الأصل الثاني: الإيمان بنبوَّة جميع الأنبياء ❁

○ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأصل الثاني: الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عمومًا ونبوة محمد ﷺ خصوصًا.

وهذا الأصل مبناه علىٰ أن يعتقد ويؤمن بأن جميع الأنبياء قد اختصهم اللَّه بوحيه وإرساله وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه.

الإيمان بأنبياء اللَّه ورسله من أركان الإيمان، كما قال اللَّه ﷻ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال في موضع آخر: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال اللَّه تعالىٰ مبينًا أن النبوة مِنْحَةً من اللَّه ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فهي اصطفاء من اللَّه ﷻ، وفي هذا رد علىٰ غلاة الصوفية الذين يزعمون أن النبوة تُنَالُ بالرياضة والمجاهدة، قال تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأعراف: ٣٥].

○ الفرق بين النبي والرسول:

فَرَّقَ العلماء بين النبي والرسول؛ فقال بعضهم: إن الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم

يؤمر بتبليغه.

وقيل: الرسول من أوحي إليه بشرع جديد - أي شريعة جديدة - وأُمِرَ بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع رسول قبله وأمر بتجديده، فكأن الأنبياء بمثابة المجددين لِمَا انْدَرَسَ من شرائع الرسل قبلهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النبوات: (النبيّ: هو من يُنبئ بما أنبأ اللَّه به، ولا يُسمّىٰ رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يُرسل إلىٰ قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقّ، الرسول: هو من أنبأه اللَّه وأرسله إلىٰ من خالف أمره، ليبلغه رسالة من اللَّه إليه)[(١)].

وقال (وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإنّ يوسف كان علىٰ ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا علىٰ شريعة التوراة)[(٢)].

فالرسل هم من سماهم اللَّه تعالىٰ في كتابه وعدتهم خمسة وعشرون رسولا، فكل من سمىٰ اللَّه في كتابه فهو رسول، وأما الأنبياء فهم الذين يأتي ذكرهم في كتب بني إسرائيل كما يقولون: دانيال، وحزقيال، وأشعيا، وأرميا، ويشوع، وغير هؤلاء ممن يرد ذكرهم فيما يسمونه (العهد القديم).

والرسل، كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسائط بين اللَّه وبين خلقه، وسائط بين اللَّه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه، أما العبادة فلا تحتاج إلىٰ واسطة، يعبد العبد ربه مباشرة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ

(١) النبوات (١٨٤).
(٢) النبوات (١٨٥).

إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]، فَفَرْقُ ما بينهم وبين البشر أن اللَّه سبحانه وتعالى أوحىٰ إليهم ليبلغوا دينه.

ودين الأنبياء واحد وهو الإسلام، فجميع الأنبياء أتوا بالإسلام قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالأنبياء جميعًا دينهم واحد، وهو الإسلام، ولكنه الإسلام بالمعنىٰ العام الذي هو الاستسلام للَّه بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك.

وأما الإسلام بالمعنىٰ الخاص فهو ما بعث اللَّه تعالىٰ به نبينا ﷺ قال ﷺ، يقول نبينا ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١)، أي أن الأنبياء أخوة لأب؛ أمهاتهم ضرائر، وأبوهم واحد، فكذلك أنبياء اللَّه دينهم واحد وهو الإسلام لكن شرائعهم متنوعة.

وهذه الشريعة التي بعث اللَّه بها محمد ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع، فإن اللَّه تعالىٰ لما ذكر التوراة ثم ثنىٰ بالإنجيل وثلث بالقرآن فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، ومعنىٰ ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي حاكمًا، وقاضيًا، وناسخًا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قول اللَّه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم] (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل ـ باب فضائل عيسىٰ عليه السلام (٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ واللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَىٰ بَنُ عُمْرَانَ بِينَ ظَهْرَانِينَا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[(١)]، والحديث رُوِيَ بإسناد جيد.

○ قال الشيخ رحمه الله:

وأن اللَّه أيدهم بالبراهين الدالة علىٰ صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

من أعظم البراهين التي أيد اللَّه بها أنبياءه ما أوحىٰ إليهم من الوحي، ومنهما: ما يُجْرِي اللَّه تعالىٰ علىٰ أيدي أنبيائه ورسله من خوارق العادات مما علىٰ مثله يؤمن الناس، ففلق اللَّه البحر لموسىٰ عليه السلام حين ضربه بجذل من حطب، وفلق اللَّه القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حينما تحدته قريش، فرأىٰ الناس جبل أبي قبيس بين فلقتي القمر: قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾ [القمر]، وأخرج اللَّه تعالىٰ لصالح عليه السلام ناقة عشراء من صخرة صماء، وهكذا كل نبي من أنبياء اللَّه قيل: فما هي آية هود عليه السلام؟ فإننا لا نجد في كتاب اللَّه عز وجل آية معينة! قال العلماء: بلىٰ! قد ذكر ذلك في كتاب اللَّه، وذلك أن هود عليه السلام قال لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود]، قالوا هذه آية هود، أنه تحدىٰ قبيلة بأكملها أن يكيدوه وأن يوصلوا إليه السوء فما استطاعوا.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/٣٨٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد».

❁ صفات الأنبياء ❁

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفًا أنبياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ :

وأنهم أكمل الخلق علمًا وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقًا وأعمالاً، وأن اللَّه خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأن اللَّه برأهم من كل خلق رديء.

هكذا أنبياء اللَّه هم علىٰ رأس المُنْعَمِ عليهم من عباد اللَّه، الذين ندعو في كل ركعة أن يهدينا اللَّه تعالىٰ صراطهم، وهم من قال اللَّه عنهم في سورة النساء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]، وبيَّنَ اللَّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن اختيارهم، وحكىٰ مقالة قوم وَرَدَّهَا حين قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ فقال اللَّه: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢]، وقال اللَّه علىٰ عبده ونبيه محمد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم].

وأعظم أعمالهم كمال العبودية للَّه تعالىٰ، ولهذا وصف اللَّه نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أشرف أحواله؛ فقال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، في أشرف ليلة مرت بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ليلة المعراج، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، أشرف حال يكون عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو ينزل عليه وحي الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، في أشرف عمل يقوم به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو الدعوة إلىٰ اللَّه تعالىٰ.



❁ عصمة الأنبياء ❁

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنهم معصومون فيما يبلغون عن اللَّه.

العصمة في أصل اللغة: مأخوذة من العصام وهو الخيط الذي يشد على فم القربة حتى يمنع جريان الماء.

فقد قال اللَّه تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ»[1] هذا نوع من العصمة وهي العصمة في التبليغ، فلا ينالهم شيء إلا بقدر اللَّه قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فاللَّه تعالى قد تكفل بعصمة أنبيائه فيما يبلغون عن اللَّه تعالى.

وليس من لازم عصمة الأنبياء أن لا يقع عليهم ما يقع على البشر، فأنبياء اللَّه تعالى يمرضون ويُوعَكُون وينسون ويموتون، ويجري عليهم ما يجري على البشر، قال نبينا ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»[2]، وقال ﷺ: «**إِنِّي أُوعَكُ**

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٤٨)، مسند أحمد (٦٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة - باب إذا صلى خمسًا (١٢٢٦)، =

كَمَا يُوعَكُ الرَّجُلاَنِ مِنْكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ لأَنَّ لَكَ الأَجْرَ مَرَّتَيْنِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[١] وقال اللَّه عن نبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر]، وقال أيضًا: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

لكن اللَّه ﷻ يحفظ دينه وشرعه، حتىٰ إن نبينا ﷺ سُحِرَ سحرًا حقيقيًّا، ومع ذلك عصم اللَّه وحيه ودينه من أن يناله أثر ذلك السحر.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّىٰ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّىٰ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: " أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلاَنِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا، قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ " فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ[٢].

= ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب السهو في الصلاة، والسجود له (٥٧٢)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﵁.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضىٰ ـ باب أشد الناس بلاء الأنبياء (٥٦٤٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧١)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﵁.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٦٨)، ومسلم في كتاب السلام ـ باب السحر (٢١٨٩).

○ ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنهم لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب.

في هذا إشارة إلىٰ أن من كمال عصمة الأنبياء أنه لو بدر منهم خطأ فإن اللَّه يستدرك ذلك عليهم وينبههم عليه ولا يقرهم، فهذا من مقتضىٰ عصمة الأنبياء.

مثال ذلك: أن اللَّه تعالىٰ لم يقر نبيه ﷺ علىٰ ما وقع منه تجاه الأعمىٰ، فأنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ [عبس]، ولما حرم النبي ﷺ علىٰ نفسه بعض ما أحل اللَّه له أنزل اللَّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ [التحريم].

وقد أخبر ﷺ أن: الشَّهَادَةُ تُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، ولم يستثن، فأتاه جبريل وقال له: إلا الدَّيْنَ، فاستدرك النبي ﷺ فقال: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»[(١)].

وخلاصة القول في عصمة الأنبياء:

أولاً: أنهم معصومون في تبليغ الرسالة، فلا يتطرق الوهم والباطل إلىٰ ما يخبرون به عن ربهم، ولا ينالهم من الناس ما يحول بينهم وبين البلاغ.

ثانيًا: أنهم معصومون من الشرك وكبائر الإثم.

ثالثًا: أنه يجوز عليهم الخطأ، والنسيان ووقع الصغائر، لكن لا يقرون عليها، ويغفرلهم بخلاف سائر الناس.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ـ باب من قتل في سبيل اللَّه كفرت خطاياه إلا الدين (١٨٨٦)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

○ **ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أوتوه من اللَّه، ومحبتهم وتعظيمهم.

لا يتم الإيمان بالرسل إلا بتحقيق أمور أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بأن رسالتهم من عند اللَّه حقًا: بمعنىٰ أن اللَّه تعالىٰ هو مرسلهم وأنهم لم ينالوا ذلك برياضتهم وحذقهم وذكائهم وإنما هي باصطفاء اللَّه، عن علم وحكمة

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً، فاللَّه تعالىٰ سَمَّىٰ لنا في كتابه خمسة وعشرين نبيًا رسولا، فنؤمن بهم بأسمائهم، لكن نعلم أن للَّه عَزَّ وَجَلَّ أنبياء ورسل كُثُر، كما قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل: ٣٦]، فهناك من لم نعلم اسمه، لأن اللَّه قال لنبيه: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]، فمن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً.

الأمر الثالث: تصديق ما صح من أخبارهم: فإذا صح الخبر عن نبي من أنبياء اللَّه فإننا نقبل به ونسلم.

ولا نعلم أحداً من أنبياء اللَّه له خبرٌ صحيح متصل الإسناد سوىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما ما سواه فلا يثبت عنهم إلا ما قصه اللَّه في كتابه أو صح به الحديث عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ **الإسرائيليات:**

الإسرائيليات هي الآثار المروية عن بني إسرائيل الموجودة في كتبهم، **وهي علىٰ ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: ما وافق ما جاء في كتابنا، فهذا نقبله ونصدقه ونؤمن به؛ لأن كتابنا شهد له، مثل قصة آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف المذكورة في سفر التكوين، وقصة موسىٰ وفرعون المذكورة في سفر الخروج، فنثبت أصلها دون ما تضمنته من تفاصيل.

النوع الثاني: ما خالف كتابنا فهذا نرده ونعلم أنه من تحريفهم، مثل ما نجده في كتبهم من أن اللَّه تعالىٰ عما يقولون ندم علىٰ إغراق بني آدم وبكىٰ حتىٰ رمدت عيناه، وأن لوطًا عليه السلام شرب الخمر وزنىٰ بابنتيه حاشاه عن ذلك ﷺ، فنعلم أن هذا مما أدخلوه في كتبهم وحرفوا فيه الكلم عن مواضعه.

النوع الثالث: ما ليس في كتابنا ما يثبته ولا ينفيه: فهذا لا نصدق به ولا نكذب، قال نبينا ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ**»(١)، وقال ﷺ: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِلَ وَلَا حَرَجَ**»(٢)، ومع ذلك نقول إن في كتابنا غُنْيَةٌ عما في كتب بني إسرائيل.

الأمر الرابع: محبتهم وتعظيمهم: فيجب علينا أن نحب رسل اللَّه أعظم من محبة الولد والوالد والنفس، ولذا قال نبينا ﷺ «**لاَ يُؤْمِنُ**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم ـ باب رواية حديث أهل الكتاب (٣٦٤٤)، من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أَحَدُكُمْ حَتّىٰ أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ»[(١)].

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأن هذه الأمور ثابتة لنبينا محمد ﷺ علىٰ أكمل الوجوه.

الإشارة بـ(هذه الأمور) إلىٰ ما تقدم من وجوب الإيمان بهم وبجميع ما أتوا به والمحبة والتعظيم، فهذه تثبت ثبوتًا أوليًا لنبينا محمد ﷺ علىٰ أكمل الوجوه، قال تعالىٰ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال مبينًا إجلاله وتعظيمه: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: أي تنصروه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أي تُجِلُّوهُ وتعظموه.

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً.

هذا الإيجاب من باب فروض الكفايات، فيجب علىٰ الأمة وجوبًا عامًا أن تعلم ما جاء به النبي ﷺ جملة وتفصيلاً وألا تهجر شيئًا منه، وأما وجوبه علىٰ الأعيان فبحسب الطاقة والحاجة فلا يجب علىٰ كل واحد من المسلمين أن يحيط علمًا بجميع الشريعة جملة وتفصيلاً، لكن يجب عليه أن يعلم ما يحتاج إليه من التوحيد وأركان الإيمان وفرائض الإسلام، فإذا حصل عنده مال زكوي وجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة، وإذا ملك زادًا وراحلة وجب عليه أن يتعلم أحكام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب حب الرسول اللَّه ﷺ من الإيمان (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب وجوب محبة رسول اللَّه ﷺ (٤٤).

الحج ليحج، وإذا وجب عليه الصوم أن يتعلم أحكام المُفَطِّرَاتِ... وهكذا.

لكن الأمة بمجموعها لا بد أن يَنْتَدِبَ منها من يطلب العلم جملة وتفصيلاً قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

○ **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

والإيمان بذلك والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره وامتثال أمره واجتناب نهيه.

قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، بل قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وذلك معنىٰ شهادة أن محمد رسول اللَّه، وهو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر.

وممن ضل في هذا المقام من يسمون أنفسهم (القرآنيين) وهم أبعد الناس عن القرآن، يزعمون أنهم مُكْتَفُونَ بالقرآن عن السنة وأنه لا حاجة إلىٰ السنة النبوية وبدعوىٰ أن السنة فيها صحيح وحسن وضعيف، وزين لهم الشيطان هذا المنهج فهؤلاء كفارٌ ولا ريب؛ لأنهم كفروا بالقرآن نفسه، فإن القرآن يتضمن الأمر باتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المسلك فقال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ**

مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»[1] وفي رواية: «**وَمِثْلِيْهِ مَعَهُ**»، فالسنة تبين القرآن وتفصله، وتبين مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، فهي مكملة للقرآن، لا يمكن أن يُسْتَغْنَىٰ بالقرآن عن السنة.

من أين لنا في القرآن أن صلاة الظهر أربع ركعات، وأن صلاة المغرب ثلاث ركعات، وأن صلاة الفجر ركعتين، لا نجد هذا في القرآن، من أين لنا في القرآن أن الطواف بالبيت سبعة أشواط، وأن السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، من أين لنا في القرآن أن في كل أربعين شاة شاة، وأنها إذا زادت علىٰ مائة وعشرين ففيها شاتان، من أين لنا في القرآن أن في خمس من الإبل شاة، لا نجد هذا في القرآن، كل هذه الأنصبة والتقادير وغيرها موجودة في السنة، فالسنة أحد الوحيين.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠)، وأبو داود في كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة (٤٦٠٤)، والترمذي في كتاب العلم ـ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وابن ماجه في كتاب المقدمة ـ باب تعظيم حديث رسول اللَّه ﷺ والتغليظ علىٰ من عارضه (١٢). وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

❁ خاتم النبيين ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن ذلك أنه خاتم النبيين قد نسخت شريعته جميع الشرائع وأن نبوته وشريعته باقية إلىٰ قيام الساعة فلا نبي بعده ولا شريعة غير شريعته في أصول الدين وفروعه.

قال اللَّه تعالىٰ عن رسوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ومعنىٰ خاتم النبيين: أي أنه آخرهم فلا نبي بعده.

قال ابن فارس: (الخاء والتاء والميم أصلٌ واحد، وهو بُلوغ آخِرِ الشّيء)[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول اللَّه ﷺ من حديث جماعة من الصحابة)[(٢)].

وأخبر ﷺ كما في «صحيح البخاري» قال: «**يُبْعَثَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**»[(٣)]، وليس المقصود بـ(**يبعث**)

(١) معجم مقاييس اللغة (مادة ختم: ٢/ ٢٤٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ـ باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ (٤٦٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان الزمن الذي لا يقبل اللَّه فيه الإيمان (١٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أنهم يوحىٰ إليهم ولكن بمعنىٰ يخرج، وفي رواية: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

وقد وقع بعض ما أخبر به النبي ﷺ فقد ظهر في زمنه مسيلمة الكذاب، وسُجاح التميمية، وطليحة بن خويلد الأسدي، والأسود العنسي، و ظهر علىٰ مر التاريخ متنبؤن كذابون حتىٰ إلىٰ عهد قريب ظهر في بلاد الهند والبنجاب ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعىٰ النبوة ولا يزال هؤلاء المتنبؤن يظهرون، والمقصود بالمتنبئين الثلاثين من يكون له شهرة وأتباع، أما المَهْووسُونُ والمجانين فَكُثُرٌ، كما يوجد ذكرهم في كتب الأدب والتواريخ، فهؤلاء لا يؤْبَهُ لهم، لكن المقصود من يكون له أتباع وشوكة.

وبهذا يتبين بطلان الدعوة إلىٰ (توحيد الأديان) أو إلىٰ (التقريب بين الأديان) التي ينادي بها بعض الزنادقة من المنتسبين إلىٰ الإسلام، وينادي بها بعض اليهود والنصارىٰ يخادعون المسلمين، ويستزلوهم عن دينهم.

فلا يجوز التدين بغير ما بعث اللَّه به محمدًا ﷺ، قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ**

---

(١) أخرجه أبي داود (٤٢٥٢)، و الترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في «مسنده» (٥/٢٧٨).

أَصْحَابِ النَّارِ»[١]، وأحيانًا يَسْتَدْخِلُونَ البوذية والهندوسية وغيرها من الأديان الوثنية باسم التقارب والحوار، وهذا ضرب من التَّلْبِيسِ، والواجب على أهل الإسلام أن يَدْعُوا إلىٰ دينهم الحق وألا يغتروا بهذه الدعوات.

ونحن بحمد اللَّه أسعد الناس بالحوار كما أمرنا ربنا أن نقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾، فنحن أصحاب المبادرة، والمبادأة لكن إلام ندعوهم؟ ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، هذه الكلمة السواء ما مضمونها؟ لم يدعها اللَّه لتفسير مفسر، ولا لقول فقيه، بل بيّنها بنفسه، فقال: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]، وبهذه الآية كتب رسول اللَّه ﷺ إلىٰ هرقل عظيم الروم: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران]»[٢].

وعلينا أن نسير علىٰ سنته وهديه وندعو الناس إلىٰ الدخول في دين الإسلام، لا ندعوهم إلىٰ البحث عن الأمور المتفق عليها، وندع الحديث عن أمور الاعتقاد والدين والتوحيد المختلف فيها، كما

---

(١) أخرجه الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٥٣).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ـ باب بدء الوحي (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد ـ باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل (١٧٧٣).

يقرر بعض المفتونين!، فما فائدة الدعوة إلىٰ اللَّه إذا أغفلنا الكلام عن التوحيد، وتحاشينا إنكار الشرك!؟.



❁ الإيمان بالكتب ❁

○ ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها، فلا يتم الإيمان به إلا بذلك وكل من كان أعظم علمًا بذلك وتصديقًا واعترافًا وعملاً كان أكمل إيمانًا.

الإيمان بالكتب من أركان الإيمان الستة قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال ﷺ في حديث جبريل حين قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّه وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...**»(١).

لا يتم إيمان امرئ بالكتب حتىٰ يؤمن بأمور أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بأن هذه الكتب منزلة من عند اللَّه حقًا: أي أنها ليست من كلام الرسول ولا من كلام المَلَك.

الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه وما لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالًا: لأن اللَّه تعالىٰ سَمَّىٰ لنا بعض الكتب كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسىٰ، وأبهم أخرىٰ فنؤمن بها إجمالاً.

الأمر الثالث: تصديق ما صح من أخبارها: وقد تقدم الكلام علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

الإسرائيليات.

الأمر الرابع: العمل بما أُنْزِلَ إلينا منها وهو القرآن العظيم، الناسخ لما سبقه من الكتب كما تقدم.



❁ الإيمان بالملائكة ❁

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والإيمان بالملائكة والقدر داخل في هذا الأصل العظيم.

من أصول الإيمان كما تقدم في الآيات وفي حديث جبريل الإيمان بالملائكة، ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجودهم: فنؤمن بأنهم عالم غيبي خلقهم اللَّه تعالىٰ من نور كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ أَبُوكُمْ آدَمُ مَمَّا وصِفَ لَكُمْ**»[1]، أي من طين، فمنَ أنكر وجودهم الحقيقي، وزعم أنهم قوىٰ معنوية فقد كفر.

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً: وذلك أن ملائكة اللَّه كُثُر لا يحصيهم إلا خالقهم، فقد أخبر النبي ﷺ عن البيت المعمور، وهو الكعبة السماوية، في السماء السابعة فقال: «**لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَىٰ الْكَعْبَةِ**»[2]، أخبر ﷺ أنه: «**يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**»[3]، أي لا تأتيهم النوبة مرة أخرىٰ، و قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ـ باب في أحاديث متفرقة (٢٩٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤٥٦/٢٢)، عن قتادة مرسلًا.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ـ باب المعراج (٣٨٨٧)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول اللَّه ﷺ (١٦٢).

وقال ﷺ: «**أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ**[(١)]، **مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ للَّهِ تَعَالَىٰ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلِمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفَرْشِ ولَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ**»[(٢)]، قال أبو ذر رضي الله عنه راوي الحديث: وَدِدْتُ أني شجرة تُعْضَدُ، أي لهول وقع الحديث عليه، تمنىٰ أن لو كان نَبْتَةً تُعْضَدُ وتُنْزَعُ وينتهي أمرها.

وقد أخبرنا اللَّه بأسماء بعضهم، فمن أخبرنا باسمه نؤمن به باسمه، ومن لم نعلم اسمه، وهم الأغلب، فإننا نؤمن به إجمالاً، فنؤمن بجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك.

وأما ما قد يدعيه بعض الناس من أسماء فإننا لا نؤمن بها لعدم ورود النص الصحيح في ذلك.

الأمر الثالث: الإيمان بما أخبرنا اللَّه تعالىٰ من أوصافهم: فملائكة الرَّحمٰن أوصافهم عجيبة وخلقهم متفاوت، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١]، فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، رآه النبي ﷺ مرة في أجياد، ومرة أخرىٰ في السماوات العلىٰ أخرىٰ، وقال ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ يَخْفِقُ الطَّيْرُ سُبْعَمِائَةَ عَامٍ**»[(٣)].

---

(١) الأطيط هو الصوت الذي يُسْمَعُ من الرَّحْلِ إذا ثَقُلَ براكبه، وهو صوت السيور والجلود التي تسمع من الرحل إذا وضع وركب عليه صاحبه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/١٧٣) أيضًا، والترمذي في كتاب الزهد ـ باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا» (٢٣١٢)، وابن ماجة في كتاب الزهد ـ باب الحزن والبكاء (٤١٩٠).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ـ باب في الجهمية (٤٧٢٧)، من حديث =

الأمر الرابع: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم: الوظيفة المشتركة بين جميع ملائكة الرَّحمٰن هي العبادة والتسبيح، فإن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد سخرهم لعبادته وأعطاهم القوة علىٰ ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

وإلىٰ جانب ذلك هناك أعمال خاصة أسندها اللَّه تعالىٰ إلىٰ بعضهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات]، هذه طوائف من الملائكة ومن أعمالهم ما أُنِيطَ بسادتهم وهم ثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فقد أُنِيطَ بهم أمر الحياة.

فأما جبريل وهو أفضلهم فأنيط به ما تحصل به حياة القلوب وهو الوحي، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء]، فمهمة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النزول بالوحي علىٰ الأنبياء.

وميكائيل أناط اللَّه تعالىٰ به حياة النبات، فهو الذي يُنَزِّلُ القطر بأمر اللَّه، ما تنزل قطرة إلا بواسطته وأَمْرِ اللَّه تعالىٰ له بذلك.

وأما إسرافيل فإنه موكل بحياة الأجساد، وذلك أنه ينفخ في الصور فيهلك الناس، وينفخ نفخة أخرىٰ فتعود كل روح إلىٰ الجسد الذي كانت تَعْمُرُهُ في الدنيا.

ومن ملائكة اللَّه رقيب وعتيد، وهما الذان يكتبان علىٰ العبد ما

= جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٤).

يكون منه من الحسنات والسيئات، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق]، وقيل هما وصفان لا آسمان.

ومن ملائكة الرَّحمٰن من مهمته أن يتسور علىٰ الجنين في بطن أمه فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أم سعيد.

ومن ملائكة الرَّحمٰن المعقبات، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

ومن ملائكة الرَّحمٰن من يَقِفُونَ علىٰ أبواب الجوامع يوم الجمعة يكتبون الأول فالأول.

ومن ملائكة الرَّحمٰن ملائكة سيَّارة يتبعون مجالس الذكر.

وهكذا فيجب أن نؤمن بما علمنا ذلك بخصوصه.

وأما الإيمان بالقدر فقد تقدم الكلام عليه وبيان مراتب الإيمان به.

○ **ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ومن تمام الإيمان به أن يعلم أن ما جاء به حق، لا يمكن أن يقوم دليل عقلي، أو حسي علىٰ خلافه، فالأمور العقلية أو الحسية النافعة تجد دلالة الكتاب والسنة مثبتة لها حَاثَّةً علىٰ تعلمها وعملها، وغير النافع من المذكورات ليس فيها ما ينفي وجودها، وإن كان الدليل الشرعي ينهىٰ، ويذم الأمور الضارة منها.

ويدخل في الإيمان بما جاء به ﷺ بل وسائر الرسل.

في هذا إشارة من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما وقع في زمنه من بعض الملاحدة، فإن زمن الشيخ عبد الرَّحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شهد ظهور المخترعات الحديثة من وسائل الاتصال والمراكب وغير ذلك مما

بهر بعض الناس وأوقعه في الإلحاد وظن أن الدين خرافة، حتىٰ إن بعض الناس والعياذ باللَّه ارتد علىٰ عقبيه وألحد وألف في الدعوة إلىٰ الإلحاد، فألف في الرد علىٰ هؤلاء الملاحدة، وبين أن العلوم العصرية النافعة لا تنافي ولا تناقض ما جاء في الكتاب والسنة، وأن كل ما فيه نفع للناس فقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل علىٰ إثباته والانتفاع به والأخذ به.

فلا يمكن أن يقوم دليل عقلي أو حسي علىٰ مخالفة الشرع.

كما أنه لا يمكن أن يقوم دليل نقلي علىٰ خلاف الواقع.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن صريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول، أي الشيء الذي يثبته العقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات، لا يمكن بحال من الأحوال أن يخالف النقل الصحيح الذي رواه الأثبات والثقات، ألف كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل»، فالعقل والنقل لا يمكن أن يتعارضا لكن بعض العقول قاصرة تظن أن هذا يعارض هذا وليس كذلك.

وبين أيضًا أن الشريعة تتسع لهذه المخترعات ولهذه العلوم النافعة، بل إنها تحث علىٰ الأخذ بها، فقد أمر اللَّه تعالىٰ بالإعداد فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فيجب علينا الإعداد بكل ما آستطعنا والانتفاع بالعلوم النافعة ودفع الأمور الضارة.

❁ ❁ ❁

❁ الأصل الثالث: الإيمان باليوم الآخر ❁

○ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل الثالث الإيمان باليوم الآخر:

فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه من الإيمان باليوم الآخر؛ كأحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين والشمال والصراط، وأحوال الجنة والنار وأحوال أهلهما وأنواع ما أعد اللَّه فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً، فكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر.

اليوم الآخر سُمِّيَ بهذا الاسم لتأخره عن الدنيا، والإيمان به ركن من أركان الإيمان، بل إن اللَّه تعالىٰ كثيرًا ما يقرن بين الإيمان به و الإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومن أنكر الإيمان باليوم الآخر فقد كفر كفرًا مبينًا، قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]،وعده النبي ﷺ من أركان الإيمان في حديث جبريل، فقد قام عليه الدليل من الكتاب والسنة والإجماع، بل أجمعت عليه جميع الشرائع.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ضابطًا نافعًا للإيمان باليوم الآخر وهو: **كل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت.**

الموت: مفارقة الروح للبدن، فإنه من الإيمان باليوم الآخر،

وأول شيء يكون بعد الموت، ما يكون في القبر.

○ قال:

كأحوال البرزخ.

البرزخ: ما يكون بين الدنيا والآخرة، والأصل أنه الحاجز بين الشيئين، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان].

ولا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا بالإيمان بأمور أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في القبر، وهو أمران:

أحدهما: فتنة القبر وهي سؤال الملكين.

الفتنة: هي الاختبار. وفتنة القبر هي سؤال الميت عن ربه وعن دينه وعن نبيه وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، عن البراء بن عازب أن رسول اللَّه ﷺ قال: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾)[١].

وعن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول اللَّه ﷺ قال (الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ (٤٦٩٩)، مسلم كتاب الجنة وصف نعيمها وأهلها ـ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٨٧١).

الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ (أَتْلَيْتَ) ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)(١).

والثاني: عذاب القبر أو نعيمه.

وذلك أنه بعد هذه الفتنة إمَّا عذاب أو نعيم، ونعيم القبر وعذابه ثابت في الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة] قال ابن جرير الطبري: إحداهما في الدنيا، والأخرىٰ في القبر(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور].

ومن أدلة السنة:

وقال ﷺ: «إِنَّ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب كيف الحشر (١٣٣٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٨٧٠).

(٢) تفسير الطبري (١٤/٤٤١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب عرض مقعد =

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)].

وعذاب القبر علىٰ نوعين:

دائم ومنقطع.

- فالدائم يكون للكافرين.

- وأما المنقطع فيقع لبعض عصاة الموحدين.

فقد ثبت أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَىٰ إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ**»، ثم قام إلىٰ جريدة نخل فشقها شِقَّيْنِ وجعل علىٰ كل قبر شقًا، وقال: «**أَرْجُو أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا**»[(٢)]، فهذا يدل علىٰ أن عصاة الموحدين قد يعذبون في قبورهم، ولكنه ينقطع بسبب دعوة صالحة، أو صدقة جارية، أو برحمة أرحم الراحمين.

وأما الكافرين فإن عذابهم دائم، وقد مر النبي ﷺ بستة أقبر أو خمسة أقبر وهو راكب علىٰ بغلته بين أصحابه، فحادت به بغلته

= الميت من الجنة أو النار (٢٨٦٧).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٣٧)، مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ـ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٢١٦)، ومسلم في كتاب الطهارة ـ باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢)، من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما.

حتىٰ كادت أن تطرحه، فالتفت النبي ﷺ فإذا بأقبر خمسة أو ستة فقال: «**قُبُورُ مَنْ هَذِهِ؟**» فذكروا له ناسًا ماتوا في الجاهلية، فقال ﷺ: «**لَـوْلَا أَنْ لَا تَدَافَـنُوا لَدَعَـوْتُ اللَّهَ أَنْ يُـسْمِعَكُمْ مِـنْ عَـذَابِ الْقَبْـرِ**»[(١)]، وسمع النبي ﷺ عشية صوتًا منكرًا ففزع وقال: «**يَهُـودُ تُعَـذَّبُ فِـي قُبُورِهَا**»[(٢)]، نعوذ باللَّه من عذاب القبر.

الأمر الثاني: الإيمان بالبعث، وما يكون في عرصات القيامة.

عرصات القيامة: المراد بها مواقف الحساب، فيجب أن يؤمن أن اللَّه تعالىٰ يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهْمًا، كما قال ربنا ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن].

وكما جاء في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُـرَاةً غُـرْلًا**» قالت عائشة: النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»[(٣)].

حفاة: غير منتعلين، عراة: غير مكتسين، بُهْمًا: ليس معهم شيء، غرلاً: غير مختونين، حتىٰ القَلَفَة التي تكون علىٰ رأس الذكر وتزال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٥)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٩)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب الميت يسمع خفق النعال (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢٨٥٩).

عند الختان تعود مع صاحبها، كما قال ربنا ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والذي تفرق لحمه في حواصل الطير وبطون السباع وأجواف الحيتان يعيد اللَّه تعالىٰ خلقه مرة أخرىٰ.

وقد أخبر نبينا ﷺ أن ابن آدم يفنىٰ فلا يبقىٰ منه إلا عَجْبُ الذَّنَبِ(١)، وعَجْبُ الذَّنَبِ هو العصعص، فمنه يركب الخلق يوم القيامة. فهذا هو البعث.

○ أحوال يوم القيامة:

أولًا: البعث:

تنشق القبور عن الناس، فأول من ينشق عنه القبر نبينا محمد ﷺ، فيجد موسىٰ باطشًا بساق العرش، قال ﷺ: «**فَمَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»(٢)

والناس حين يبعثون يحدوهم الحادي إلىٰ أرض المحشر، وهي أرض غير الأرض التي ألفناها كما قال اللَّه ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ

---

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا (عَظْمٌ وَاحِدٌ) وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة النبأ باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ]، زُمَرًا (٤٩٥٣)، مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً...﴾ [الأعراف: ١٤٢] (٣٣٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل ـ باب من فضائل موسىٰ ﷺ (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم]، أرض ممدودة كمد الأديم، كالقرصة، أو كالخبزة، ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد، لا جبل يُشْرِفُ منه، ولا واد يُكِنُّهُ، قال تعالىٰ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه].

الثاني: دنو الشمس:

إذا اجتمع الناس في ذلك الموقف العظيم، تدنو منهم الشمس قدر ميل أو ميلين فيعرقون، حتىٰ إنه يسيخ عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، وحتىٰ إنه يطفو عرق بعضهم، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حِقْوَيْهِ، أي خاصرته، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، وذلك بحسب ما كانوا عليه في الدنيا.

الثالث: حوض النبي ﷺ:

وهو مورد أكرمه اللّٰه تعالىٰ به وأمته في عرصات القيامة.

الحوض في اللغة: مجمع الماء، يقول ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ**»[1]، أي سابقكم إليه، وهذا من كمال شفقته ﷺ، فإنه يسبق أمته إلىٰ حوضه لِيُهَيِّءَ لهم السُّقْيَا والشرب.

وهذا الحوض حوض عظيم، يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب في الحوض (٦٥٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ (٢٢٨٩)، من حديث جُندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه.

ماؤه أحلىٰ من العسل، وأبيض من اللبن، وكل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وعدد كيزانه كعدد نجوم السماء، ويعرف النبي ﷺ أمته في ذلك الموقف العظيم بآثار الغرة والتحجيل، فإنهم سألوه كيف تعرفنا يا رسول اللَّه بين الأمم قال: «**بِالْغُرَّةِ والتَّحْجِيلِ**». والغرة في الأصل بياض يكون في جبهة الفرس، والتحجيل بياض يكون في قوائمه؛ لأنها مواضع الوضوء، فهذا من بركة الوضوء.

فيهوي النبي ﷺ وينزع، فمن شرب من هذا الحوض شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، ويرد أقوام أو رجال كان يظنهم من أصحابه فَيُحَالُ بينهم وبينه ويقال لهم: هلموا إلىٰ النار، قال ﷺ «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»(١).

وفي رواية قال: «**فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٢)، فهذا يتنزل إما علىٰ قوم من المرتدين والعياذ باللَّه، أو علىٰ قوم أحدثوا حدثًا عظيمًا في الدين فلم يستحقوا أن يشربوا من حوض النبي ﷺ، وربما نالوا من العذاب ما قدره اللَّه تعالىٰ علهم إن كانوا باقين علىٰ أصل التوحيد ثم يكون مآلهم إلىٰ الجنة.

الرابع: الشفاعة العظمىٰ:

إذا طال الموقف بالناس أتوا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فسألوه أن يشفع لهم عند ربهم، فيعتذر بما وقع منه من الأكل من الشجرة، ويدفعهم إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب في الحوض (٦٥٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٢٢٩٥)، من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

نوح؛ لأنه كان أول الأنبياء، فيعتذر بما كان منه من قوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، ويدفعهم إلىٰ إبراهيم، فيعتذر إبراهيم عليه السلام بما كان منه من الكذبات الثلاث ثنتان منهن في ذات اللَّه عز وجل، فيدفعهم إلىٰ موسىٰ لكونه كليم الرَّحمٰن، فيعتذر لما وقع منه من قتل النفس، ويدفعهم إلىٰ عيسىٰ فلا يعتذر عليه السلام بشيء ليكون كالتوطئة والتمهيد لنبينا ﷺ، فيدفعهم إليه فتأتي الخلائق بأجمعها إلىٰ نبينا ﷺ يسألونه الشفاعة عند ربه عز وجل، فيقول ﷺ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»، يَقُولُ: «**فَأَقُومُ فَآتِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَيُفْتَحُ عَلَيَّ بِمَحَامِدِ لَا أَحْسِنُهَا الآنَ**» أَي أَنَّهُ فَتْحٌ يُفْتَحُ عَلِيهِ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ المَوْقِفِ العَظِيمِ «**فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» لأن الشفاعة لابد فيها من إذن اللَّه للشافع، فلما أذن له قال ـ: «**يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[1]، فتكون أمته هي أول ما يقضىٰ بينهم من الأمم يوم القيامة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، وأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

ومما يختص به النبي ﷺ من الشفاعات:

الشفاعة لأهل الجنة في دخول الجنة، فإنه لا سبيل لأهل الجنة إلىٰ دخول الجنة إلا بشفاعته كما جاء في الحديث الصحيح قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ،**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] (٧٤١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ـ باب لكل نبي دعوة مستجابة (٦٣٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَلَّا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[١].

ومن الشفاعات الخاصة به ﷺ:

شفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب، فإنه يجده في الدرك الأسفل من النار، فيخرجه إلىٰ ضحضاح من نار تحت قدميه نعلان أو جمرتان يغلي منهما دماغه، وإنه ليظن أنه أشد أهل النار عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا.

وهناك شفاعات عامة مشتركة بين الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين والشهداء حتىٰ الفَرَطَ لأبويه، وهي أنواع متعددة منها:

١ ـ الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة الموحدين ألا يدخلها.

٢ ـ الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يُخْرَجَ منها.

أما الكافرون فكما قال اللَّه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، لكن الكلام هاهنا علىٰ عصاة الموحدين.

وهذان النوعان تنكرهما الخوارج والمعتزلة، يقول قائلهم من استحق النار وجب علىٰ اللَّه أن يعذبه فيها، ومن دخل النار امتنع علىٰ اللَّه أن يخرجه منها، تعالىٰ اللَّه عما يقولون فقد ضيقوا رحمة اللَّه.

٣ ـ الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أهل الأعراف، أن يدخلوا الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا» (١٩٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٤ ـ الشفاعة لبعض المؤمنين في دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.

كما يحصل لعكاشة بن محصن الأسدي، قال النبي ﷺ « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالُوا وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَكْتَوُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ. قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(١)].

٥ ـ الشفاعة لبعض المؤمنين أن ترفع درجاتهم.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور].

فصارت الأنواع ثمانية:

ثلاثة منها خاصة بالنبي ﷺ

وخمسة مشتركة بينه وبين سائر الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين والأفراط.

وتبقى رحمة أرحم الرَّحمٰن فقد جاء في الحديث القدسي أن الرب تبارك وتعالى يقول: «**شَفَعَتْ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ**

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢١٨).

الْجَنَّةِ»[١].

الخامس: الحساب:

والحساب نوعان:

حساب المؤمنين، وحساب الكافرين.

فأما حساب الكافرين:

فإنهم يُقَرَّرُونَ بذنوبهم ويعترفون بها على رؤوس الأشهاد، وإظهاراً للعدل. ولا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنه لا حسنات لهم، كما قال اللَّه ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]، تُغَلُّ أيديهم إلى أرجلهم إلى أعناقهم فيقذفون في النار جماعات جماعات، والنار تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]، فيضع اللَّه عليها رجله، أو قدمه فينزوي بعضها إلى بعض على من فيها، فتقول: قَطٍ قَطٍ، أي اكتفيت اكتفيت.

وأما حساب المؤمنين فهو على نوعين:

عرض ومناقشة.

فأما العرض:

فهو للذين سبقت لهم من اللَّه الحسنى، فيخلو بأحدهم ربه ويقرره بذنوبه، كما جاء في حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يَخْلُو اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ذَنْبًا ذَنْبًا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا يَوْمَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا،**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ـ باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٥).

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّي أَيْ رَبِّ، وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عِنَ الخَلَائِقِ حَتَّىٰ لَا يَفْتَضِحُ، حَتَّىٰ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ»[١]، فما أسعده وما أقر عينه بهذه البشارة.

وأما المناقشة:

فإنها تكون في حق بعض عصاة الموحدين الذين أراد اللَّه ﷻ أن يعذبهم في النار ومآلهم إلىٰ الجنة، ويدل علىٰ هذا النوع حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق]، قال: «**يَا عَائِشَةُ ذَاكَ الْعَرْضُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ فَقَدْ هَلَكَ**»[٢]، من نوقش: أي من دقق معه الحساب.

السادس: نشر الدواوين:

والدواوين جمع ديوان، وهي صحائف الأعمال، يدل علىٰ ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، طائره في عنقه: أي ما طار منه من عمل، سواء كان خيرًا أو شرًّا، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾، أي: مفتوحًا، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله: ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم (٤٦٨٥)، ومسلم في كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨)، من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتىٰ يعرفه (١٠٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب إثبات الحساب (٢٨٧٦).

السابع: وضع الموازين:

جمع ميزان وهو: ما توزن به الأعمال، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، لإظهار العدل، وإلا لو شاء سبحانه لأدخل أهل الجنة الجنة رأساً وأهل النار النار رأساً؛ فتوزن الأعمال حتىٰ قدر مثاقيل الذر، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]، وقال أيضًا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون]، ولا يترك منهما صغر ودق قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

الثامن: الصراط:

وهو الجسر المنصوب علىٰ متن جهنم، يؤمر الناس بجوازه، وهذا من أشد مواقف القيامة، حتىٰ أن أولي العزم من الرسل في ذلك الموقف يقول قائلهم: اللهم سلم سلم، وفي الحديث: (قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ باب قوله تعالىٰ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] (٧٤٣٩)، مسلم في =

وهذا الجواز إنما يكون لغير الكافرين، أما الكافرون فقد بينا أنهم يلقون في النار بعد أن يقرروا بذنوبهم.

فمن جاز الصراط فقد سلم ونجا وأفلح وأنجح، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم]، فالورود غير الدخول، الورود هو العبور من فوق، والدخول هو السقوط فيها أجارنا اللَّه.

فإذا جاز الصراط ممن سبقت له من اللَّه الحسنىٰ جمعهم اللَّه تعالىٰ في موضع يقال له:

التاسع: القنطرة:

وهي مكان يجتمع فيه أهل الجنة لكي يُنَقَّوْا ويهذبوا ويقتص بعضهم من بعض ويتعافوا فيما بينهم، أي يتساقطوا الحقوق والمظالم ويتسامحوا، ويُخْرِجُ اللَّه تعالىٰ ما في قلوبهم من غل وشحناء؛ لأنه لا يخفىٰ أن المؤمنين قد يقع بينهم شيء من الغل والشحناء وإساءة الظن، ولا يليق أن يدخلوا الجنة علىٰ هذه الصورة، فلا يدخلوا الجنة إلا مُطَيَّبِين فإنها طيبة لا يدخلها إلَّا الطيبيون، فحينئذ يدخلون الجنة علىٰ أكمل صورة ظاهرة وباطنة، جعلنا اللَّه من ذلك الوفد، فوفد الرَّحمٰن يدخلون الجنة وهم في غاية الجمال والبهاء وسلامة الصدر إخوانًا.

وأحوال الجنة والنار وأحوال أهلهما وأنواع ما أعد اللَّه فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً داخل في الإيمان باليوم الآخر، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قصد الإشارة ولم يقصد الاستيعاب، فما يقع في اليوم الآخر

= كتاب الإيمان ـ باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها (١٩٥).

أمور كثيرة يجب على المؤمن إذا ثبت عنده ذلك بآية محكمة أو بسنة صحيحة أن يؤمن بذلك ويصدق.

العاشر: الجزاء:

فيؤمن العبد بأن اللَّه أعد دارًا للمتقين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أنواع النعيم والمتع الحسية والمعنوية وهي الجنة.

وأعد دارًا للكافرين ملأها بالأنكال والجحيم مما تقشعر منه الأبدان، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].



❁ الأصل الرابع: مسألة الإيمان ❁

هذه مسألة شريفة جليلة عظيمة، فبعد أن ذكر الشيخ أركان الإيمان الستة، انتقل إلىٰ هذه المسألة العظيمة وهي مسألة الإيمان.

○ **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأهل السنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح، فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان.

ابتدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعريف الإيمان وبيان حَدِّهِ وحقيقته.

فالإيمان لغة: التصديق، قال اللَّه عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسان إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف].

هذا هو المشهور عند كثير من المصنفين، والتحقيق أنه نوع خاص من التصديق المضمن معنىٰ الأئتمان، وأقرب المعاني إليه الإقرار، كما حرر ذلك شيخ الإسلام في كتبه.

وأما في الاصطلاح: فالإيمان قول وعمل.

قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

فكل هذه البنود الخمسة داخلة في حد الإيمان وتعريفه.

قول القلب: هو اعتقاده، أي ما يعقد عليه القلب من المعارف الصحيحة، ويدل علىٰ هذا قول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل قال: «**الْإِيمَانِ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ**

بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

قول اللسان: هو التلفظ بالشهادتين، إذ لا نحكم بإسلام امرئ حتىٰ ينطق بالشهادتين؛ أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه.

عمل القلب: هو ما يتحرك به القلب من النيات والإرادات، مثل المحبة والخوف والرجاء والتوكل. وبهذا يتبين الفرق بين قول القلب وعمل القلب، فقول القلب تصديقه، وعمل حركته.

والدليل علىٰ أن عمل القلب من الإيمان قول النبي ﷺ: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمانِ**»[2]، والحياء عمل قلبي.

عمل اللسان: هو ما يكون من الذكر والتلاوة والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ اللَّه والتعليم وغير ذلك من الكلم الطيب.

والدليل علىٰ أن قول اللسان من الإيمان قول النبي ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[2].

عمل الجوارح: هو ما يقع من الجوارح من العمل الصالح كالركوع والسجود والحج وإماطة الأذىٰ عن الطريق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي ﷺ (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان - باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال تعالىٰ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

والدليل علىٰ أن عمل الجوارح من الإيمان: قول النبي ﷺ: «وَأَدْنَاهَا» - أي أدنىٰ شعب الإيمان - «إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَرِيقِ». ومما يدل علىٰ ذلك أيضًا قول اللَّه تعالىٰ في حادث تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والمراد صلاتكم، فعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّىٰ مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَىٰ أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَىٰ القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣][(١)]، فسمىٰ الصلاة إيمانًا.

قال الشيخ رحمه الله: وأن مَنْ أَكْمَلَهَا ظاهرًا وباطنًا فقد أكمل الإيمان، ومن انتقص شيئًا منها فقد انتقص من إيمانه، وهذه الأمور بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا اللَّه وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان - باب الصلاة من الإيمان (٤٠).

في هذا إشارة إلىٰ أن الإيمان يتفاضل، وأن أهله متفاضلون فيه، قال تعالىٰ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر]، ليس الإيمان شيئًا واحدًا، بل الإيمان درجات متفاوتة، فهناك أصل الإيمان وهناك الإيمان الواجب، وهناك الإيمان الكامل.

أصل الإيمان: وهو الحد الأدني الذي بدونه لا يستحق الإنسان وصف الإيمان، ويتحقق بالشهادتين ظاهراً وباطناً.

الإيمان الواجب: أن يضم إلىٰ أصل الإيمان فعل الواجبات وترك المحرمات.

الإيمان الكامل: أن يضم إلىٰ أصل الإيمان وفعل الواجبات وترك المحرمات، فعل المستحبات وترك المكروهات، قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال].

○ الإيمان عند المخالفين:

انقسم الناس في هذه المسألة إلىٰ طرفين ووسط، قوم يتشددون وقوم يتساهلون وأهل السنة يُهْدَوْنَ إلىٰ أعدل الأمور وأوسطها.

الطرف الأول: أهل التساهل: المرجئة، والمرجئة طبقات:

الطبقة الأولى: وهي أشد طبقات المرجئة إرجاءً الجهمية القائلون: الإيمان هو معرفة القلب فقط؛ لا قول ولا عمل، وهؤلاء هم أخبث المخالفين في مسألة الإيمان وهم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، وقولهم ظاهر البطلان، فإنه يلزم من إيمان المشركين واليهود

والنصارىٰ، وفرعون وملئه، بل وإبليس! فإن جميعهم قد حصلت لهم معرفة القلب، بل ويقينه، كما قال تعالىٰ عن فرعون وملئه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وعن المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وعن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]، وقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص] فلازم مقالتهم أن يكون هؤلاء جميعاً مؤمنين.

الطبقة الثانية: الكَرَّامِيَّة المنسوبون إلىٰ محمد بن كَرَّام السجستاني، القائلون: الإيمان قول اللسان! وهذه مقالة ساقطة، فإن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، فتلفظهم بالشهادة لم يجعلهم مؤمنين؛ بل إن اللَّه أكذبهم، وأشهد علىٰ كذبهم.

الطبقة الثالثة: من يسميهم السلف مرجئة الفقهاء، أتباع أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك أن أبا حنيفة وأصحابه خالفوا أهل السنة والجماعة في هذه المسألة فقالوا: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب فقط. والأعمال من لوازم الإيمان وليست من الإيمان.

وأصحاب أبي حنيفة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ هم فقهاء الكوفة في زمنهم وشيخهم حماد بن سليمان وقد أنكر عليهم السلف إنكارًا بالغًا وَعَدُّوا مقالتهم إرجاءً لكنهم لم يجعلوهم بمنزلة من سبقهم من الجهمية والكرامية.

وبعض العلماء يقول: إن الخلاف بين أصحاب أبي حنيفة والجمهور خلاف لفظي لا يترتب عليه أمر عملي، بل خلاف صوري لفظي؛ لأن أصحاب أبي حنيفة رحمهم اللَّه يأمرون بفعل الواجبات

والمستحبات وينهون عن فعل المحرمات والمكروهات، ويقيمون الحدود والتعزيرات ولا يخرجون مرتكب الكبيرة من مسمىٰ الإيمان ويجعلونه في الآخرة تحت المشيئة والإرادة، وبالتالي فلا أثر لهذا الخلاف، والصحيح أن منه ما هو صوري لفظي ومنه ما هو حقيقي معنوي.

ويجب القول بما قال به أهل السنة والجماعة وهو أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

الطرف الثاني: أهل التشدد الوعيدية من الخوارج والمعتزلة:

القائلون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، لكنهم حكموا علىٰ مرتكب الكبيرة بعدم الإيمان.

فالخوارج تقول: خرج من الإيمان ودخل في الكفر.

والمعتزلة تقول: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهي مقالة لم يُسْبَقُوا إليها.

واتفق الفريقان علىٰ أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار.

الوسط: أهل السنة والجماعة: قالوا إن مرتكب الكبيرة مؤمن، لكنه ناقص الإيمان، أو يقولون: مؤمن فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، هذا الاسم الذي يعطونه إياه في الدنيا، فلا يعطونه الاسم المطلق، ولا مطلق الاسم.

فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل، فلا يستحقه.

ومطلق الإيمان هو الحد الأدنىٰ منه، فلا يفنىٰ عنه.

أما حكمهم عليه في الآخرة فيقولون: إنه تحت المشيئة والإرادة، إن شاء اللَّه تعالىٰ عفا عنه مجانًا يوم القيامة، وإن شاء عذبه بقدر

ذنبه ويكون مآله إلىٰ الجنة، لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

فهذا من أصول أهل السنة والجماعة، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة من قول النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[١].

وعن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، قال حسن: أن ابن مسعود حدثهم، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يكون قومٌ في النار ما شاء اللَّه أن يكونوا، ثم يرحمهم اللَّه، فيخرجُهم منها، فيكونون في أدنَىٰ الجنة، فيغتسلون في نهر يقال له: الحَيَوان، يسميهم أهلُ الجنة الجهَنَّميون، لو ضَاف أحدُهم أهل الدنيا لَفَرَشَهم وأطعمهم وسقَاهم ولَحَفَهم**»[٢]، فكل هذه الأدلة تدل علىٰ أنهم لا يخلدون في النار.

وأما الأدلة علىٰ أنهم يسمون مؤمنين فكثيرة، منها قول اللَّه ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهم مؤمنين مع أن القتال بين المؤمنين من الكبائر، فقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»[٣]، وقال بعد ذلك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]، فأثبت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٧٤٤٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٣٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما (٣١)، ومسلم في كتاب الفتن ـ باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٢٨٨٨).

لهم الأُخُوَّة الإيمانية.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسمىٰ القاتل أخًا للمقتول، ومن ذلك ما استدل به الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فلو لم يجد إلا عبدًا سارقًا زانيًا كاذباً نماماً مغتاباً فأعتقه برأت ذمته بإجماع المسلمين، وهذا دليل علىٰ أن وصف الإيمان باقٍ له.



❁ أقسام الناس في الإيمان عند أهل السنة ❁

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويُرَتِّبُونُ علىٰ هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات، مقربون، وأصحاب يمين، وظالمون لأنفسهم بحسب مقاماتهم من الدين والإيمان.

هذه المسألة مسألة تفاضل أهل الإيمان في الإيمان، وهي ناتجة عن الأصل العظيم الأول، وهو أن الإيمان قول وعمل خلافًا للمرجئة.

المرجئة تقول: إيمان أفجر الناس كإيمان أتقىٰ الناس، إيمان أفجر الناس كإيمان أبي بكر وعمر وجبرائيل وميكائيل، فعندهم الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وأهله فيه متساوون.

أما أهل السنة والجماعة فيعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص وأن أهله يتفاضلون فيه، والدليل علىٰ ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فهؤلاء الأطباق الثلاثة، كلهم من المصطفين، لكنهم درجات.

أولاً: الظالم لنفسه، الذي أتىٰ بأصل الإيمان، لكن يقع في المحرمات ويترك الواجبات.

ثانيًا: المقتصد، الذي يفعل الواجبات ويترك المحرمات فقط.

ثالثًا: السابق بالخيرات، الذي يفعل الواجبات والمستحبات ويدع المحرمات والمكروهات.



❁ الإيمان يزيد وينقص ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنه يزيد وينقص.

الإيمان يزيد وينقص، والأدلة على ذلك كثيرة، من ذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة]، ومنه قول اللَّه تعالىٰ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب]، ومنه قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وهذه ست مواضع من القرآن تثبت لفظ الزيادة وأن الإيمان يزيد.

وليس في القرآن التعبير بالنقص، لكن من المعلوم قطعاً أن أي شيء قابل للزيادة فهو قابل للنقصان، فإن الزيادة والنقصان بينهما تلازم عقلي، لأنه قبل أن يزيد كان أنقص منه بعد أن زاد.

ومع ذلك فقد جاء في السنة ما يدل على النقصان وهو قول النبي ﷺ في حق النساء: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(١)، فنقص الدين هو نقص الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض ـ باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان نقصان الإيمان بنقص =

ثم ذكر الشيخ من أسباب الزيادة والنقصان ما يلي:

فمن فعل محرمًا أو ترك واجبًا نقص إيمانه الواجب ما لم يتب إلىٰ اللَّه.

يدل علىٰ هذا قول نبينا ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)].

فمراد النبي ﷺ أن الإنسان حال مقارفته لهذه الأمور يزول عنه الإيمان الواجب، ولا يزول عنه أصل الإيمان؛ لأنه لو كان يزول عنه أصل الإيمان لم نكتفِ بقطع يد السارق، بل كنا نقطع رأسه، ولم نكتفِ بجلد الزاني أو شارب الخمر بل كنا نقتله ردةً.

○ **ثم قال:**

ويُرَتِّبُونَ علىٰ هذا الأصل أن الناس علىٰ ثلاثة أقسام: منهم من قام بحقوق الإيمان كلها فهو المؤمن حقًا، وعليه قول اللَّه تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال]، ومنهم من تركها كلها فهذا كافر باللَّه تعالىٰ.

لا شك أن من ترك جميع خصال الإيمان من قول واعتقاد وعمل أو ترك أحد هذه الأركان فإنه كافر باللَّه حقًا، فمن ترك الاعتقاد فلا شك في كفره، ومن ترك القول وأبىٰ أن يقول لا إله إلا اللَّه فلا شك

= الطاعات (٨٠).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود ـ باب إثم الزناة (٦٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله (٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في كفره، ومن ترك العمل كله فلا شك في كفره.

○ **ثم قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومنهم من فيه إيمان وكفر، أو إيمان ونفاق، أو خير وشر.

وهذا حاصل؛ وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، أنه يجتمع في العبد الواحد بر وفجور، طاعة ومعصية، إيمان ونفاق، أي نفاق غير مخرج عن الملة، إسلام وكفر، أي كفر غير مخرج عن الملة، كقول النبي ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[(١)]، أي الكفر الأصغر والنفاق الأصغر.

هذا أمر مشهود يعرفه كل واحد منا في نفسه، ألسنا نجد في أنفسنا أن اللَّه تعالىٰ يمن علينا فيهدينا إلىٰ الصالحات وإلىٰ فعل الصالحات من الصلوات والزكوات والصيام، وأيضًا يجد أحدنا من نفسه أحيانًا أنه يقع فيما حرم اللَّه عليه من غيبة أو تساهل في بعض الأشياء، ومع ذلك هو مؤمن يجتمع فيه هذا وهذا.



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق (٦٤)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ الولاية ❁

فيترتب علىٰ اجتماع هذه الأمور المتقابلة في الشخص الواحد مسألة الولاية:

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ففيه من ولاية اللَّه واستحقاقه لكرامته بحسب ما معه من الإيمان، وفيه من عداوة اللَّه واستحقاقه لعقوبة اللَّه بحسب ما ضيعه من الإيمان.

هذه مسألة مهمة ومفيدة، أن ولاية اللَّه عَزَّوَجَلَّ تتبعض، فتزداد ولاية اللَّه للعبد بحسب ما يقوم به من خصال الإيمان، فمن كان للَّه تقيًا كان للَّه وليًا.

فبحسب ما يكون في العبد من القيام بخصال الإيمان الاعتقادية والقولية والعملية تحصل له ولاية اللَّه، فقد قال اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١)، يا لها من ولاية، هذه ولاية من اللَّه عَزَّوَجَلَّ للمؤمن الكامل الإيمان.

وإذا نقص إيمانه نقصت هذه الولاية بقدر ذلك النقص، حتىٰ إذا انعدم الإيمان انعدمت هذه الولاية وانقلبت عداوة فصار من أعداء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب التواضع (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

اللَّه ﷻ واستحق من عقوبة اللَّه بحسب ما ضيعه من الإيمان.

قال ابن القيم: (أهل السنة ـ متفقون علىٰ أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية للَّه وعداوة من وجهين مختلفين، ويكون محبوبا للَّه مبغوضا له من وجهين أيضا، بل يكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر، ويكون إلىٰ أحدهما أقرب منه إلىٰ الآخر فيكون من أهله)[(١)].

قال شيخ الإسلام: (وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطي من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه)[(٢)].

○ ثم قال:

ويرتبون علىٰ هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلىٰ الكفر تُنْقِصُ إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم.

وهذا ما قررناه سابقًا في حكم مرتكب الكبيرة، أن كبائر الذنوب وصغائرها لا تصل بصاحبها إلىٰ الكفر؛ بل تضعف الإيمان وتخدشه ولكن لا تزيله، ويسمىٰ مؤمنًا ولكنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن فاسق، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإنه لا يخلد في النار.

---

(١) مدراج السالكين (١/٢٨١).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/٢٠٩).

ولهذا نبه الشيخ علىٰ مقالات المخالفين:

○ **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا يطلقون عليه الكفر كما تقوله الخوارج.

الخوارج هم شر الخلق والخليقة، هم كلاب النار، حذر النبي ﷺ منهم في أكثر من عشرة أحاديث صحاح، منها قوله ﷺ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[(١)]، فقاتلهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه من الصحابة، فهؤلاء الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة.

ولما مر بهم عبد اللَّه بن خباب بن الأَرَت رضي اللَّه عن أبيه ورحمه، وكانت معه زوجته حاملًا، وكان قد وَلِيَ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعض الأعمال في خراسان، استوقفوه في الطريق ورحبوا به وقالوا ابن صاحب رسول اللَّه ﷺ، حدثنا عن أبيك عن رسول اللَّه، ثم قالوا له: ما تقول في علي؟ فقال: ابن عم رسول اللَّه وزوج ابنته، قالوا: كَفِّرْهُ، قال: لا، كيف أكفره، بل أُكَفِّرُ من كفره، فقاموا عليه فقتلوه وبقروا بطن زوجته[(٢)].

وما زالوا يقطعون الطريق علىٰ أهل الإسلام ويقتلونهم ويستحلون دماءهم وأموالهم، حتىٰ ندب علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصحابة من المهاجرين والأنصار لقتالهم، وقال: هؤلاء الذين حدثنا عنهم رسول اللَّه ﷺ وقال: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(٣)]،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر البداية والنهاية (١٠/٥٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ـ باب بعث علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، =

وذكر في فضل قتالهم الشيء العظيم، فخرج إليهم الصحابة وقال لهم علي: تقاتلونهم فلا يُقْتَلُ منكم إلا عشرة ولا ينجو منهم إلا عشرة، كما أخبر النبي ﷺ، فقتلوا في وقعة النَّهْرَوَان.

وطلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُبْحَثَ عن ذِي الثُّدَيَّةِ، وهو رجل وصفه النبي ﷺ بأنه مقطوع اليد وعلىٰ عضده مثل الحَلَمَة عليها شَعَرَات كالثُّدَيَّةِ، تَدَرْدَرُ[1]، فبحثوا فلم يجده، فتغير وجهه رضي الله عنه وقال: واللَّه ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، ثم خرج إلىٰ العسكر فجعل يطوف ويبحث حتىٰ وجد جثثًا ملقًىٰ بعضها علىٰ بعض، فأمر بنزحها، فإذا بذِي الثُّدَيَّةِ تحتها، فكبر وكبر المسلمون.

فهؤلاء الخوارج الذين خرجوا في زمن علي رضي الله عنه[2].

○ قال رحمه الله:

أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة.

المعتزلة لا تقول عن مرتكب الكبيرة كافر، لكن تقول ليس بمؤمن، وأنه في منزلة بين منزلتين، كما تقدم وهذا نوع من الحذلقة والمغالطة وإلا فالخوارج طريقتهم اكثر اطراداً منهم، فإن من زال عنه وصف الإيمان صار كافراً، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وإنما سميت المعتزلة معتزلة لأن واصل بن عطاء مؤسس هذا المذهب كان في حلقة الحسن البصري، فجاء رجل يسأل عن مرتكب

= وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) أي تضطرب.

(٢) انظر البداية والنهاية (١٠/٦٠٤).

الكبيرة، فتريث الحسن البصري لكي يصوغ له جوابًا، فابتدر واصل بن عطاء وقال: أنا لا أقول هو مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين، ثم قام ومعه نفر من أصحابه إلىٰ سارية من سواري مسجد البصرة يقرر مذهبه، فقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعتزلنا واصل، فسمي أصحابه معتزلة.

○ **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان، وأما الإيمان المطلق فينفىٰ عنه، وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة.

أي مع مرتكب الكبيرة مطلق الإيمان أي الحد الأدنىٰ منه، وليس معه الإيمان المطلق أي الإيمان الكامل، ولهذا قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، هؤلاء قوم حديثو عهد بإسلام، أتوا رسول اللَّه مسلمين، ليسوا منافقين، أذعنوا وأسلموا والتزموا بأمور الإسلام الظاهرة، وقالوا آمنا، فتعقب اللَّه تعالىٰ مقالتهم وقال: لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، لأن الإيمان حقيقة قلبية باطنية، لم تتغلغل بعد في قلوبكم، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

فإذا اجتمع الإسلام والإيمان في سياق واحد فالمقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة والمقصود بالإيمان العقائد الباطنة.

وأما إذا انفردا، فالإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام، وهذا معنىٰ قول من قال من العلماء في التفريق بين الإسلام والإيمان: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإنه يعني الدين كله.

❁ ❁ ❁

الإسلام يجبُّ ما قبله

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويترتب على هذا الأصل أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله وأن التوبة تجب ما قبلها، وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله، ومن تاب تاب اللَّه عليه.

يدل على هذا حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبايعًا، فقلت يا رسول اللَّه ابسط يدك أبايعك، فبسط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فقبض عمرو يده، فقال له رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو**»، قال: أشترط يا رسول اللَّه، قال: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**» قال: أن يُغفر لي، قال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»(١)، ومعنى يجبه أي يهدمه.

من ارتد ومات على ردته فقد حبط عمله والعياذ باللَّه، أفسد ما بنى، ومن تاب تاب اللَّه عليه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].



(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج (١٢١).

❁ الاستثناء في الإيمان ❁

○ ثم قال:

ويرتبون أيضًا على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان، فيصح أن يقول أنا مؤمن إن شاء اللَّه؛ لأنه يرجو من اللَّه تعالى تكميل إيمانه فيستثني لذلك ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات فيستثني من غير شك منه بحصول أصل الإيمان.

مسألة الاستثناء في الإيمان وفيها تفصيل:

فإن كان، استثناؤه ناتجاً عن تردد وعدم جزم، حرم لأنه لابد من الجزم في العقائد.

إذا كان استثناؤه خشية تزكية نفسه حتى لا يدعي أنه مؤمن كامل الإيمان، أو أن مراده أنه يثبت على هذا الإيمان إلى الممات، وجب الاستثناء.

فالمسألة فيها تفصيل بحسب الحامل له على الاستثناء.

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويرتبون أيضًا على هذا الأصل أن الحب والبغض أصله ومقداره تابع للإيمان وجودًا وعدمًا وتكميلاً ونقصًا، ثم يَتْبَعُ ذلك الولاية والعداوة، ولهذا من الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه والولاية للَّه والعداوة للَّه.

تلك ثمرة اعتقادنا بأن الإيمان يزيد وينقص وأن الناس يتفاوتون في الإيمان أن نوالي وأن نعادي بناءً على هذا الأمر، فنحب المرء

بقدر ما عنده من الإيمان، ونبغضه بقدر ما عنده من معصية وفسوق.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وجاء في الحديث: «**أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ**»[(١)]، فلا يجتمع في قلب امرئ مؤمن إيمان ومودة للكافرين، هذا ممتنع غاية الامتناع، فالمؤمن الحق لا يمكن أن يحب كافراً.

ولما جاء أبو سفيان إلىٰ المدينة في المدة التي مَادَّ فيها النبي ﷺ كفار قريش بعد صلح الحديبية وكان إذ ذاك مشركًا، لِيُوَثِّقَ العهد، جاء إلىٰ بيت ابنته أم حبيبة رضي الله عنها، فلما دخل عليها طَوَتْ عنه فراش النبي ﷺ، فقال لها: يا بُنَيَّة أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت بهذا الفراش عني؟ فقالت: بل رغبت بهذا الفراش عنك، هذا فراش رسول اللَّه ﷺ، وأنت مشرك نجس[(٢)].

انظر كيف يكون الحب في اللَّه والبغض في اللَّه مقدمًا علىٰ محبة النسب.

قال ابن إسحاق في حادثة ماء الرجيع: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعث به صفوان ابن أمية مع مولىٰ له يقال له نسطاس إلىٰ التنعيم، وأخرجوه من

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٧٤٧)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٠٩).

(٢) البداية والنهاية (٤/٢٨٠).

الحرم ليقتلوه. واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك اللَّه يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال واللَّه ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. قال يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا؛ ثم قتله نسطاس[(١)].

ولما لقي مصعب بن عمير رضي الله عنه رجلاً من الأنصار إثر معركة بدر وقد أسر أخاه، فظن أن مصعبًا سيفتكه من هذا الأنصاري، فلما حاذاه قال مصعب للأنصاري اشدد به يدك، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفتديه منك[(٢)].

فأخوة الإيمان مقدمة علىٰ كل رابطة ووشيجة، ومحبة الإيمان تغلب كل محبة.

○ **ثم قال المؤلف رحمه الله:**

ويترتب علىٰ الإيمان ولا يتم إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

كما نطق بذلك من لا ينطق عن الهوىٰ، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(٣)]، وليس معنىٰ ذلك أنه يجب علىٰ الإنسان أن يتنازل عن حقوقه لأخيه، بل هذا فضل وإيثار، لكن المقصود أن يتمنىٰ لأخيه من

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٥).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣٠٧)، معرفة الصحابة لأبي نعيم(٥/ ٢٩٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب (٤٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الخير ما يتمنىٰ لنفسه، وألا يحسد أخاه علىٰ خير ساقه اللَّه إليه.

ومن لازم ذلك أن يكره لأخيه ما يكره لنفسه، وكل ذلك ناتج عن حقيقة الإيمان الأولىٰ.



❁ اجتماع المؤمنين ❁

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويترتب علىٰ ذلك أيضًا محبة اجتماع المؤمنين والحث علىٰ التآلف والتحابب وعدم التقاطع.

الإيمان يثمر محبة اجتماع المؤمنين والسعي إلىٰ التآلف والمودة وتقريب القلوب والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فإن هذا من لازم الإيمان. ولا، ولم، ولن، يكون من لازم الإيمان القطيعة والتدابر والبغضاء والشحناء بين المؤمنين، كما قد يتوهم بعض الناس، وإنما ينشأ الغل والتدابر بين بعض المؤمنين لدواع غير إيمانية من حظوظ النفس، بل الإيمان يثمر المحبة القلبية التي تقضي علىٰ كل أسباب القطيعة، فمن مقاصد الدين الائتلاف والمحبة بين المؤمنين، وقد امتن اللَّه تعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين بذلك فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال أيضًا سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، فهذه ثمرة يانعة من ثمار الإيمان.

فعلىٰ أهل الإيمان أن يتحابوا فيما بينهم وأن يتآلفوا ويحسنوا الظن بعضهم ببعض ويحرصوا علىٰ الاجتماع والائتلاف والوفاق وأن يبتعدوا عن الافتراق والاختلاف والتضاد.



❁ التعصُّب المذموم ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويبرأ أهل السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض، ويرون هذه القاعدة من أهم قواعد الإيمان.

أهل السنة والجماعة يبرأون من التعصبات، كأن يتعصب الإنسان لمذهب فقهي، مثل: حنفي، مالكي، شافعي، حنبلي، أو أن يتعصب لانتماء قبلي؛ كأن يقول: قيسي، يماني، عامري، تميمي، أو يتعصب لبلده مثل: مصري، شامي، نجدي، عراقي، أو أي نوع من أنواع التعصبات، فإنه لا يجوز أن يعلق الحمد والذم والولاء والبراء إلا بما علقه اللَّه تعالىٰ به وهو الإيمان، فعن جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري يا للمهاجرين. فقال رسول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ؟**»، قالوا يا رسول اللَّه كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[1].

فلا يجوز أن يعلق الولاء والبراء والمدح والذم والحب والبغض بالأماكن أو بالأشخاص أو بالبلدان أو بالقبائل.

حتىٰ وإن ساغ أن ينتسب الإنسان إلىٰ شيء من هذه المذكورات

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير ـ باب ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] (٤٩٠٥)، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ـ باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا (٢٥٨٤).

مجرد نسبة فلا يجعل ذلك أساساً يقيم عليه ولاءه وعداءه وحبه وبغضه، فقد يسوغ للمرء أن يقول: أنا مالكي، أنا حنبلي، أنا حنفي، أنا شافعي، باعتبار طريقة أهل بلده وجماعته، أو ينتسب إلىٰ قبيلته أو بلده، لكن لا يجوز أن يوالي ويعادي علىٰ أساسه، فالدين أذاب جميع الفوارق والتعصبات والأحلاف والتحزبات المنافية لرابطة الإيمان، فعليها يجتمع أهل الإيمان، وعلىٰ ضدها يفترقون.

وقد تجلت هذه المعاني في قوله ﷺ «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ هَا هُنَا**». وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(١).

وفي رواية البخاري قال ﷺ «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**»(٢).

فنهىٰ ﷺ عن كل أسباب القطيعة والتباغض.

○ **ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

ولا يرون الاختلاف في المسائل التي لا توصل إلىٰ كفر أو بدعة

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب ـ باب ما ينهىٰ عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

موجبة للتفرق:

الاختلاف من طبيعة البشر، بسبب تفاوتهم في العلوم والفهوم، وقد وقع الاختلاف في المسائل العلمية في خير القرون، بين أصحاب محمد ﷺ، ولكن خلافهم ذاك لم يوجب لهم تفرقًا ولا تباعدًا في القلوب بل كان يعذر بعضهم بعضًا.

مثال ذلك، أن النبي ﷺ قال بعد غزوة الأحزاب: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»[1]، لأن بني قريظة قد نقضوا العهد، فأراد النبي ﷺ أن يسير إليهم، فأدركت صلاة العصر الصحابة وهم في الطريق إلىٰ بني قريظة، فمنهم من قال: دخل وقت العصر فنصليها في الطريق، وقال آخرون: بل قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فلا نصليها إلا هناك، هذا اختلاف في فهم النص، هل المراد التأكيد علىٰ المبادرة، أو المراد ظاهر النص، ومع ذلك فإن الخلاف في هذه المسألة لم يوجب لهم تباغضًا ولا تفرقًا.

وإن المرء ليأسف أشد الأسف حين يرىٰ بعض طلبة العلم يقع بينهم خلاف في مسائل فرعية، فينتج عن ذلك نوع قطيعة وتباغض وهجران، حتىٰ إني حُدِّثْتُ أن بعضهم لا يسلم علىٰ بعض أحيانًا بسبب خلاف في مسألة اجتهادية! فعلىٰ طالب العلم العاقل اللبيب الحازم أن يفرق بين الأمور الكبار التي تتعلق بالولاء والبراء، وبين الأمور الفرعية التي يسوغ فيها الخلاف، فالإنسان يأتي ما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ـ باب صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء (٩٤٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ـ باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين (١٧٧٠)، من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

يغلب علىٰ ظنه أنه الحق ويحسن الظن بأخيه.

ومؤلف هذه الرسالة الشيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خالفه بعض الناس في بعض الأمور، وسَعَوْا فيه وَوَشَوْا وآذَوْهُ ثم جعل اللَّه تعالىٰ العاقبة له، فما كان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أن أتىٰ من خالفوه وضاروه وزارهم في بيوتهم، وقال لأحدهم: يا أخي أنت مجتهد، وأنا مجتهد، وكلنا علىٰ خير، واختلافنا لا يوجب قطيعة ولا تباغضًا.

وهكذا تكون أخلاق العلماء، فينبغي لطلبة العلم أن يتأدبوا بهذه الآداب، وأن يُرَبُّوا أنفسهم علىٰ الإخلاص للَّه تعالىٰ، وأن يجتنبوا أسباب الشقاق والوشاية والسعاية فيما لا طائل من ورائه.

نعم إذا بلغ الأمر مبلغ الكفر أو البدعة المحققة فلكل مقام مقال، لكنه أراد الأمور التي تختلف فيها الأنظار وتكون مسرحاً للاجتهاد.



❁ فضل الصحابة رضي الله عنهم ❁

○ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مرتبًا أيضًا على ذلك الأصل العظيم ـ:

ويترتب على الإيمان: محبة أصحاب النبي ﷺ بحسب مراتبهم، وأن لهم من الفضل والسوابق والمناقب ما فضلوا فيه سائر الأمة، ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم، وأنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلى كل خير، وأبعدهم من كل شر.

هذه القطعة متعلقة بحقوق أصحاب النبي ﷺ.

الصحابة: جمع صاحب، أو صحابي وهو: من لقي النبي ﷺ في حياته مؤمنًا به ومات على ذلك[1].

فتبين من هذا التعريف أن من عاصر النبي ﷺ وآمن به ولم يلقه فإنه لا يكون في عِدَادِ الصحابة؛ كالنجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ، كان في أرض الحبشة فيُعَدُّ من المخضرمين ولا يعد من الصحابة.

ولا نقول من رأى النبي ﷺ لأنه ربما كان أعمى بل نقول من لقيه، أو من اجتمع به.

وقولنا (في حياته)، ليخرج بذلك لو رآه في المنام، وكذلك لو أنه رآه بعد موته وقبل دفنه، وهذا لا ينطبق إلا على أبي ذؤيب الهذلي، رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي هاجر إلى المدينة في اليوم الذي مات فيه رسول اللَّه ﷺ ورآه بعينَي رأسه مسجًّى فهذا لا يعد صحابيًّا[2].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/٨ ـ ٩).

(٢) أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد أسلم على =

ولابد أن يحصل هذا اللقاء حال إيمانه، فلو قُدِّرَ أنه رأىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ حال الكفر، ثم اعتنق الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ فلا يكون في عداد الصحابة.

وقولنا (ومات علىٰ ذلك) فلو رآه مؤمنًا به، ثم ارتد عن الإسلام فإن صحبته تبطل.

لكن لو أنه ارتد ثم عاد إلىٰ الإسلام، كما وقع لطليحة بن خويلد الأسدي، فالصحيح أن وصف الصحبة يرجع إليه.

وهذا المبحث يتعلق بمصطلح الحديث ولكن أصحاب العقائد يتكلمون في باب الصحابة بسبب ما جرىٰ من الفرق الضالة من النيل منهم، لأن النيل من الصحابة نيل من الدين فلذلك أُدْخِلَ في كتب العقائد، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه علىٰ الإسلام[(١)].

وقال أبو زرعه الرازي رحمه الله: إذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنه زنديق[(٢)]؛ وذلك أنهم أرادوا أن يُجَرِّحُوا رجالنا، أي رواة الحديث، فيهدموا بذلك الدين.

= عهد النبي ﷺ ولم يره، وقدم المدينة يوم وفاته، فشهد السقيفة، وبيعة أبي بكر، والصلاة علىٰ النبي ﷺ ودفنه، قال ابن كثير: توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٣/٣٥٨)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة(١/٢٤٥)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ (١/١٤٥).

(١) البداية والنهاية (١١/٤٥٠).

(٢) الكفاية للخطيب البغدادي (٤٩).

○ ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويدينون بمحبتهم ونشر فضائلهم.

فالواجب علينا محبة أصحاب النبي ﷺ، الذين أثنىٰ اللَّه عليهم في كتابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلىٰ آخر الآية، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وعدد مراتبهم فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]، فقوم أثنىٰ اللَّه عليهم واختارهم لصحبة نبيه، واصطفاهم من بين القبائل وجمعهم حول نبيه، حقيقون أن يكونوا محل محبة المؤمنين واحترامهم وتعظيمهم وتقديرهم ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ.

وهذه المحبة تكون بحسب مراتبهم، وذلك أن الصحابة رضوان اللَّه عليهم ليسوا سواءً، فبعضهم أفضل من بعض، يقول ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠].

من درجات المفاضلة شهود معركة بدر، كما قال نبينا ﷺ لعمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ـ باب الجاسوس (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ... =

ومن مراتب المفاضلة: شهود بيعة الرضوان، قال اللَّه عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا ألفًا وأربعمائة.

ومن أوجه المفاضلة: أن يكون مُبَشَّرًا بالجنة كالعشرة، فقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ...**»[١] وعد العشرة.

والمهاجرون أفضل من الأنصار؛ لأن اللَّه قدمهم في الذكر.

وإذا كان بين أنبياء اللَّه عليهم صلوات اللَّه وسلامه تفاوت وتفاضل، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، فالتفاوت والتفاضل بين الصحابة من باب أولىٰ.

فالصحابة - رضوان اللَّه عليهم - لهم من السوابق والمناقب ما يفضلون به سائر الأمة، ويدل علىٰ ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[٢]، أي لو أن إنسانًا أنفق مثل جبل أحد ذهبًا، فَرَّقَهُ في سبيل اللَّه، لم يقع له من الثواب ما يقع لصحابي أنفق ربع صاع بل ثمن صاع، لِمَا لهم من السابقة

= (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٢)، وأبو داود في كتاب السنة - باب في الخلفاء (٤٦٤٩)، والترمذي في كتاب المناقب - باب مناقب عبد الرَّحمٰن بن عوف الزهري رضي الله عنه (٣٧٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والفضل، من الجهاد في سبيل اللَّه، والهجرة، والنصرة، وغير ذلك مما اختصهم اللَّه به.

وأفضل هذه الأمة بعد نبيها علىٰ سبيل الخصوص أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم علي.

فأما كون أبي بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ثم عمر فهذا محل إجماع واتفاق بين المسلمين.

وإنما وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في أمر علي وعثمان. فمن السلف من فضل عثمان علىٰ علي، ومنهم من عكس فقدم عليًا علىٰ عثمان، ومنهم من توقف.

ومسألة اختلاف السلف في المفاضلة بين عثمان وعلي ليست مما يوجب تبديعاً، وتضليلاً.

ولكن أمر أهل السنة والجماعة استقر علىٰ تقديم عثمان علىٰ علي، حتىٰ قال أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قدم عليًا علىٰ عثمان فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار وأخشىٰ أن لا ينفعه مع ذلك عمل[(١)]، أزرىٰ بهم أي انتقصهم؛ لأن المهاجرين والأنصار هم الذين قدموا عثمان في البيعة.

أما في مسألة الخلافة فلا خلاف بين المسلمين أن الخليفة بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، هذه مسألة مقطوع بها عند أهل السنة والجماعة، ومن خالف في هذه المسألة فهو أضل من حمار أهله.

فالصحيح أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٧).

هكذا ينبغي أن يكون التابعون في نظرتهم وعقيدتهم في الصحابة رضوان اللَّه عليهم أن يحبوهم وأن ينشروا فضائلهم.

وقال نبيُّنا ﷺ في شأن الأنصار خاصةً: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**»[(١)]، وقال في الصحيح «**حُبُّ الْأَنْصَارِ إِيمَانٌ**»، وقال: «**حُبُّ الْأَنْصَارِ آيَةُ الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ**»[(٢)]، كل هذا مرتب على القاعدة الأولىٰ وهي مسألة الإيمان والحب في اللَّه والبغض في اللَّه.



(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ـ باب حب الأنصار من الإيمان (٣٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان (٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ـ باب حب الأنصار من الإيمان (٣٧٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان (٧٤).

❁ الموقف مما شجر بين الصحابة ❁

ثم ذكر الشيخ مسألة مهمة وهي الموقف مما شجر بينهم.

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويمسكون عما شجر بينهم.

وذلك أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ابتلىٰ بعض أصحاب نبيه ﷺ، بعد قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فوقع بينهم خلاف وشجار في بعض الأمور، فوقعت معركة الجمل بين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من جهة، وطلحة والزبير وعائشة من جهة، ووقعت معركة صِفِّين بين علي من جهة ومعاوية من جهة.

فعقيدتنا في هذا أنهم جميعًا مجتهدون، فمنهم مجتهدون مصيبون فلهم أجران، ومنهم مجتهدون مخطئون فلهم أجر واحد، وهذه الآثار والمرويات التي تُحْكَىٰ فيما شجر بين الصحابة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونُقِصَ وغُيِّرَ عن وجهه[1]، لأن أيادي الرافضة، عليهم من اللَّه ما يستحقون امتدت إلىٰ التاريخ فصارت تعبث بالروايات وتدخل فيه ما ليس منه وتوغر قلوب الأمة علىٰ بعض أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فَشَوَّهُوا التاريخ لأغراضهم الفاسدة.

فعلينا أن نعلم أن هذه الأخبار المروية في مساوئ بعض الصحابة منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٥).

والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، والمخطئ مغفور له، بل هو مأجور أجرًا واحدًا، ولهم من السوابق والفضائل والحسنات العظيمة والمكفرات الماحية ما يجعل هذا الخطأ إن صح أنه خطأ نَزْرٌ يسير مغمور بجنب فضائلهم، فلا كان ولا يكون مثلهم رضوان اللَّه عليهم.

والواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم، ولا نستفتح الحديث فيما جرىٰ بين الصحابة ولا نسوق الروايات والأخبار علىٰ عواهنها في هذا كما قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تلك دماء طهر اللَّه منها سيوفنا فلا تخضب بها ألسنتنا [(١)].

فمن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه ﷺ؛ سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغضاء، وسلامة ألسنتهم من السب والقذف واللعن والشحناء.

○ **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأنهم أولىٰ الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلىٰ كل خير وأبعدهم من كل شر.

وقد شهد لهم بذلك ربنا عَزَّ وَجَلَّ بثنائه عليهم بقوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، وشهد لهم بذلك نبينا ﷺ حين قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ**

---

(١) فتح المغيث (٣/ ١١٥)، حلية الأولياء (٩/ ١١٤)، منهاج السنة (٦/ ٢٥٤).

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[١]، فهم خير القرون ولا ريب.

وقد ضل في هذا الباب الرافضة المتسمون بالشيعة، فتنقصوا أصحاب نبينا ﷺ حتىٰ إنه لا يكاد يسلم من ألسنتهم البذيئة إلَّا بضعة نفر، وزعموا أن عامة الصحابة قد ارتدوا عن الإسلام وأنهم ظلموا أهل بيت رسول اللَّه ﷺ. وكذبت الرافضة، فإن أحفظ الناس لوصية رسول اللَّه ﷺ في أهل بيته هم أصحابه.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ـ باب لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا أشهد (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضل الصحابة رضي اللَّه تعالىٰ عنهم ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

❁ الإمامة ❁

○ ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعتقدون أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في غير معصية اللَّه تعالىٰ.

لابد للأمة من إمام، وخليفة وسلطان يبايعونه ويعطونه صفقة أيديهم وثمرة قلوبهم ويبايعونه علىٰ السمع والطاعة في المنشط والمكسل والعسر واليسر حتىٰ تكون كلمتهم واحدة، قال نبينا ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(١)، أي مات كميتة أهل الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية لا إمام لهم، يغزو بعضهم بعضًا وينهب بعضهم بعضًا، وكُلٌّ أمير نفسه، حتىٰ جاء اللَّه تعالىٰ بهذا الدين القويم فجمع الناس علىٰ إمام واحد مطاع، يقول النبي ﷺ: «**وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(٢)،

والمقصود بالطاعة هنا الطاعة بالمعروف، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٣)، وقال

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٥١)، من حديث عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ـ باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ـ باب سرية عبد اللَّه بن حذافة =

تعالـىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، فطاعة أولي الأمر تابعة لطاعة اللَّه وطاعة رسوله، وليست مستقلة، ولذلك عطفها علىٰ ما قبلها، ولم يعد ذكر العامل (أطيعوا).

وما يأمر به الولاة والسلاطين علىٰ ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يأمروا بشيء أمر اللَّه به ورسوله فحينئذ تجب طاعتهم من وجهين:

لكون هذا المأمور به عليه أمر اللَّه ورسوله.

ولكونه أمر ولاة الأمر.

النوع الثاني: أن يأمروا بشيء فيه معصية للَّه ورسوله فلا سمع ولا طاعة.

النوع الثالث: أن يأمروا بشيء لم يرد عليه أمر اللَّه ورسوله ولا نهي اللَّه ورسوله. فهذا النوع تجب طاعتهم فيه؛ لأنه من باب السياسة الشرعية المعيشية، ولا تستقيم أمور الأمة إلا بتنظيم أحوالهم المدنية.

فإذا أمر الإمام ببعض التنظيمات المتعلقة بالمرور والمصالح البلدية، أو المتعلقة بالأحوال المدنية أو بالوظائف الإدارية أو غير ذلك من الأمور المصلحية المعاشية، وجبت طاعته.

لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

ولا يجوز الخروج علىٰ الولاة حتىٰ وإن كانوا فُجَّارًا، لقول النبي

= السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار (٤٣٤٠)، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٨٤٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ**»[1]، أدوا إليهم حقهم، أي ما يطلبونه منكم، من دفع الزكوات زكاة الماشية وزكاة الخارج من الأرض، وإذا استنفروكم أن تنفروا، وسلوا اللَّه حقكم: أي سلوا اللَّه ﷻ أن يُحَنِّنَهُمْ عليكم فيؤدوا إليكم حقوقكم، وفي حديث عبادة بن الصامت قال: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[2]، فهذه أربعة قيود لو طبقناها لسلم الناس من كثير من الأمور التي أَخَلَّتْ بهم وأوجبت ظهور الفتن، وهي:

أولاً: الرؤية المحققة، «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا**»، فلابد من رؤية محققة، أما البلاغات والإشاعات والإذاعات والقيل والقال فلا يعتمد عليها.

ثانيًا: أن يكون كفرًا، فإذا لم يكن كفر بل كان فسقًا، كشرب الخمور، وأكل الربا، وظلم الناس أو غير ذلك من الأمور التي لا تبلغ حد الكفر فهذا لا يجيز الخروج عليهم.

ثالثًا: أن يكون بواحًا، أي باديًا ظاهرًا، مستعلنًا، أما إذا كانوا يفعلونه خفية ولا يتظاهرون بذلك فهذا لا يجيز الخروج عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٣)، ومسلم في كتاب الإمارة - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام - باب كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم في كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية(١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

رابعًا: أن يكون عندنا فيه من اللَّه برهان، لابد من وجود آية محكمة أو سنة بينة كالشمس تدل علىٰ أن هذا الفعل كفر، أما إذا كان الأمر مما يختلف فيه العلماء تتنازعه الآراء فهذا لا يعد برهانًا.

فهذه قيود أربعة قيد بها النبي ﷺ أمر الخروج علىٰ ولاة الجور.

وهناك **قيد خامس لابد منه وهو القدرة،** فلو قدرنا أن هذه القيود الأربعة متحققة ولكن لا قدرة للناس علىٰ الخروج فإنه من السفه والطيش أن يعرضوا أنفسهم للهلكة، وقد قيل للمؤمنين في مكة: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت علىٰ ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته)[١].

وهذا أمر يعرف بالتتبع التاريخي، فالواجب علىٰ أهل الإسلام الطمأنينة والسكينة والبعد عن أسباب الفتن؛ لأن باب الفتن إذا انفتح والعياذ باللَّه أنتج نتائج وخيمة، وكما قيل:

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَىٰ بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّىٰ إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ



(١) منهاج السنة النبوية (٣/٣٩٣).

❁ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ❁

○ ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد وإلا باللسان وإلا فبالقلب على حسب مراتبه الشرعية وطرقه المرعية.

هذا أصل عظيم من أصول الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأصل زِينَةُ هذه الأمة وعلامة خيريتها قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذا من أخص خصائص هذه الأمة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الأمان لهذه الأمة، وبدونه تغرق سفينة المجتمع، وينتشر الفساد، أما إذا كان الإنسان أَمَّارًا بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر فإن اللَّه عَزَّوَجَلَّ يسد به أبواب الشرور، وقد أثنىٰ اللَّه تعالىٰ علىٰ هذه الفئة فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود]، فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أولو بقية، أي قلة، لكنهم قوامون للَّه بالحق فليبشروا بالنجاة.

ولابد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شروط ثلاثة:

شرط قبله، وشرط معه، وشرط بعده.

الشرط الأول: العلم: محله قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن أمر ونهىٰ بغير علم أفسد أكثر مما أصلح، فلابد من العلم، ولا يلزم أن يكون الإنسان عالمًا بكل فروع الشريعة لكن لابد أن يكون عالمًا بهذه المسألة التي يأمر بها أو ينهىٰ عنها.

الشرط الثاني: الرفق: ومحله معه، مصاحبًا له، فإن اللَّه تعالىٰ يعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العنف، فإذا أمرت أو نهيت فكن رفيقًا في أمرك رفيقًا في نهيك، حتىٰ يُقْبَلَ منك، قال تعالىٰ لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الشرط الثالث: الصبر: ومحله بعده، فإن من نصب نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسيلحقه نوع أذىٰ حسي أو معنوي؛ ربما يُضرب، ربما يُعَنَّف، ربما يُحبس، ربما يُسب، ربما يُشتم، ربما يُقذف! فَلْيُوَطِّن نفسه علىٰ الصبر، قال اللَّه تعالىٰ في وصايا لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، فلابد للآمر والناهي من أن يكون صبورًا لا جزوعاً.

ومراتب الإنكار ثلاثة، كما رتبها النبي ﷺ، وبينها الشيخ هنا وهي:

اليد ثم اللسان ثم القلب.

قال نبينا ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**» إما لخوف قتل أو ضرب أو حبس، أو لأنه ليس له ولاية علىٰ تغيير هذا المنكر، كأن يكون وقع في بيت غيره، أو أن يكون من الأمور العامة التي لها من يباشرها كرجال الحِسْبَةِ.

«**فَبِلِسَانِهِ**»، وهي المرتبة الثانية أي بأن يأمر وينهىٰ.

«**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**» للأسباب السابقة، «**فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[(١)]، بمعنىٰ أن الإنسان إذا كان يرىٰ المنكر ولا يبالي ولا يقع في نفسه أدنىٰ ذرة من إنكار فليعلم أنه ليس عنده أدنىٰ ذرة من إيمان، فالمؤمن بطبعه ينفر من المنكر ويأباه، لكن من المؤمنين من يكون عنده قوة إيمان وصلابة فيأمر وينهىٰ بما قَدِرَ عليه، ومنهم من يكون دون ذلك فيكتفي بكراهة.

○ **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وبالجملة فيرون القيام بكل الأصول الشرعية علىٰ الوجه الشرعي من تمام الإيمان والدين.

الضمير يرجع إلىٰ أهل السنة والجماعة، فجميع أمور الشريعة من تمام الإيمان والدين، فكل ما أمر اللَّه تعالىٰ به فهو من الدين، وكل ما أمر به النبي ﷺ فهو من الدين، وكل ما نهىٰ اللَّه عنه فتركه من الدين، وكل ما نهىٰ عنه نبيه ﷺ فتركه من الدين ، ثم أردف ذلك قائلاً: **ومن تمام هذا الأصل طريقهم في العلم والعمل**

وكأن الشيخ أراد أن يقرن بهذا الأصل الإيماني لازمه الذي لا ينفك عنه وهو العمل فجعل ذلك الأصل الخامس.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ الأصل الخامس: طريقتهم في العلم والعمل ❁

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأصل الخامس: طريقهم في العلم والعمل، وذلك أن أهل السنة والجماعة يعتقدون ويلتزمون أن لا طريق إلىٰ اللَّه وإلىٰ كرامته إلا بالعلم النافع والعمل الصالح، فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ:

○ العلم النافع:

قال ربنا ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، والهدىٰ: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح، فمدار رسالة نبينا ﷺ علىٰ هذين الأمرين: إما علم نافع، وإمَّا عمل صالح، فابتدأ بأولهما وهو العلم النافع وعرفه بقوله:

هو ما جاء به الرسول من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

العلم الذي وردت النصوص بمدحه والثناء علىٰ أهله هو علم الكتاب والسنة، هو الفقه في الدين.

وقد أثنىٰ اللَّه تعالىٰ ثناءً عطرًا علىٰ أهل العلم فقرن شهادتهم بشهادته فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فلله دَرُّهُمْ ما أكرم هذه المنزلة وهذا الاقتران أن قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته.

وأحال اللَّه علىٰ فهمهم وآستنباطهم فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٨٣].

وَأَرَىٰ رأيهم فقال سبحانه: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦]، فلله دَرُّهُمْ.

وكذلك مدحهم نبينا ﷺ وبشرهم، فقال في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١)، فأبشر يا طالب العلم وأَمِّلْ ما يسرك، واعلم أن تحبيب العلم إليك دليل سعادتك في الدنيا والآخرة فَعَضَّ عليه بالنواجذ واصبر عليه.

واعلم أن العلم لا ينال إلا بنية صالحة وجهد دائب ومثابرة وصبر، فإذا وُفِّقْتَ إلىٰ هذه الصفات بأن رزقك اللَّه نية صالحة في طلب العلم لم تَشُبْهَا شائبة الهوىٰ وحظ النفس فأنت حَرِيٌّ بإذن اللَّه أن تَبْلُغَ مقصودك، وإلا كانت الأخرىٰ قال نبينا ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ وَيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب العلم ـ باب الحث علىٰ طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي في كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه كتاب المقدمة ـ باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة (٢٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

فعليك بالإخلاص للَّه ﷻ في طلب العلم، واحذر من الرياء والسمعة.

ولابد من الجهد والمثابرة، وقد قيل: أعط العلم كلك يعطك بعضه، فإنك إن أعطيته بعضك لن يعطك شيئًا.

وتأمل في قصة موسىٰ عليه السلام حين أخبر أن بمجمع البحرين رجلاً هو أعلم منه فقال: يا رب، كيف لي به؟ فدل عليه، في القصة المشهورة، وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ۝٦٠﴾ [الكهف]، فدلت الآية علىٰ التصميم والعزيمة التي كانت في نفس موسىٰ عليه، فما أحرىٰ طالب العلم أن يتحلىٰ بها.

وينبغي لطالب العلم أن يتحلىٰ بالأخلاق الكريمة، وحسن معاشرة الخلق، والأدب مع معلمه وشيخه، حتىٰ يستطيع أن ينال من العلم القدر الكبير؛ لأن طالب العلم إذا كان متكبرًا أو مستحييًا لم يحصل علىٰ مقصوده، وإذا كان سيء العشرة نفر الناس منه ولم ينتفع بهم ولم ينتفعوا به.

○ قال رحمه الله:

فيجتهدون في معرفة معانيها والتفقه فيها أصولاً وفروعًا.

لا شك أن مدار العلوم كلها علىٰ الكتاب والسنة، فهي منبع العلوم، فعليك يا طالب العلم أن تتجه مباشرة إلىٰ هذين النبعين الصافيين فتقبل علىٰ كتاب اللَّه فتحفظه، ثم تلم بتفسيره وتعرف مراد اللَّه ﷻ من خطابه للمكلفين، ولا تحفل بكلام الرجال وأقوال المذاهب قبل أن تحسن فهم مراد اللَّه ﷻ.

ثم اتجه إلىٰ سنة نبيه ﷺ، فطالع كتب السنة وَأَدِمْ قراءة الأحاديث

الصحيحة تعرف هدي رسول اللَّه ﷺ، وطالع على ذلك الشروح المعتبرة.

وابدأ بالأسهل واختر في كل فن من الفنون متنًا مختصرًا تعتني به ثم تترقىٰ إلىٰ ما هو أعلىٰ منه. وإياك أن تكون كهيئة المتذوق كل يوم تجرب متنًا وتدعه قبل أن تكمله وتنتقل إلىٰ غيره، فإنك إن فعلت ذلك لن تحصل شيئًا. ابدأ بمتنٍ من المتون وأتقنه فإذا ضبطته فانتقل إلىٰ غيره.

وإياك أن ترجئ وتؤجل فهم المسائل، فبعض طلبة العلم تمر عليه المسألة فلا يفهمها فيقول: أعود إليها فيما بعد، ويلقيها وراء ظهره، ثانية وثالثة، حتىٰ ينوء بحمل هذه الأثقال ولا يحصل علمًا واضحًا، فقليل تحسنه خير من كثير لا تحسنه.

○ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويسلكون جميع طرق الدلالات فيها، دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام.

أي يسلكون في نصوص الكتاب والسنة جميع الطرق؛ لأن دلالة نصوص الكتاب والسنة قد تكون بالمطابقة وقد تكون بالتضمن وقد تكون بالالتزام.

فدلالة النص علىٰ كامل المعنىٰ الذي وضع له يسمىٰ دلالة مطابقة.

ودلالته علىٰ أحد أجزاء هذا المعنىٰ يسمىٰ دلالة بالتضمن.

ودلالته علىٰ أمر خارج مسماه يسمىٰ دلالة الالتزام.

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويبذلون قواهم في إدراك ذلك بحسب ما أعطاهم اللَّه، ويعتقدون أن هذه هي العلوم النافعة هي وما تَفَرَّعَ عليها من أَقْيِسَةٍ صحيحة ومناسبات حُكْمِيَّةٍ.

علىٰ طالب العلم أن يبذل قواه الذهنية والعلمية في إدراك العلم وحسن تصوره، فإن الإنسان إذا أدرك المسألة إدراكًا جازمًا علىٰ ما هي عليه حَصَّل العلم، وإذا ذاكره وكرره وردده رسخ في عقله فسهل عليه تقريره وسهل عليه أن يُنَزِّلَ القواعد علىٰ أفراد المسائل.

ويتفرع علىٰ علوم الكتاب والسنة مختلف أنواع العلوم النافعة، فمن القرآن نستمد التفسير والتوحيد والفقه وغير ذلك من أنواع العلوم، وكذلك من السنة، وكذلك الأقيسة الصحيحة، فإن الشرع لم يُبطل العقل بل الشرع أتىٰ مُنَقِّحًا وَمُلَقِّحًا للعقل، فالعقل قد يضل لكن الشريعة تضبطه وتجعله يسير علىٰ قانون مطرد.

○ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكل علم أعان علىٰ ذلك أو وازره أو ترتب عليه فإنه علم شرعي، كما أن ما ضاده وناقضه فهو علم باطل فهذا طريقهم في العلم.

وهذا يدل علىٰ سعة أفق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو يرىٰ أن كل علم أعان علىٰ تحصيل العلم الشرعي فله حكمه.

فعلم النحو يعين علىٰ فهم القرآن العظيم والسنة النبوية، فنعرف الفاعل من المفعول به، ونعرف المفعول المطلق ووظيفته، فنعرف المبتدأ، والخبر..إلخ؛ لأنه يترتب علىٰ علمنا بهذه الأشياء أحكام فهو علم نافع، وتعلمه مشروع.

وأما العلوم الضارة فإنها مناقضة للعلم الشرعي، فليس من العلوم النافعة السحر، مثلاً؛ بل هو وإن سمي علمًا فهو ضارٌ ولا يجوز تعلمه، كذلك لا يجوز تعلم علم الكلام، فقد أضل كثيرًا من الناس وجعلهم يزهدون بعلوم الكتاب والسنة.

وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يفلح صاحب كلام أبدا، ولا تكاد ترىٰ أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل(١).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ علم الكلام(٢).

ومن ذلك علم المنطق فإنه لا حاجة إليه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد(٣).

ربما احتاج إليه فئة محدودة وخاصة من طلبة العلم الذين أوتوا ذكاءً وانتدبوا للرد علىٰ الفلاسفة والمتكلمين لكي ينقضوا شبهاتهم ولكي يردوا عليهم بسلاحهم، كما قيل: من فمك أدينك، أما عامة طلبة العلم فإنهم لا يحتاجون إلىٰ تعلم علم المنطق.

○ العمل الصالح:

○ **قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وأما طريقهم في العمل فإنهم يتقربون إلىٰ اللَّه تعالىٰ بالتصديق والاعتراف التام بعقائد الإيمان التي هي أصل العبادات وأساسها.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٤٢).

(٢) نفس المصدر السابق (٢/٩٤١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٩/٨٢).

لا انفصال بين العلم والعمل، لا يمكن أن يقع عمل صالح إلا بأن يكون مبنيًا علىٰ علم نافع، فيجب أن تكون عباداتنا مبنية علىٰ اعتقاداتنا، فإذا صلينا أو صمنا أو حججنا أو زكينا فلابد أن يكون ذلك نابعًا عن رغبة ورهبة، رغبة فيما عند اللَّه، ورهبة من عذابه، أن يكون مبنيًا علىٰ محبة وخوف ورجاء، محبة للَّه ﷻ، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، هذا هو العمل الذي ينفع صاحبه، قال اللَّه ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ولهذا تجد نفسك أيها المؤمن إذا كان قلبك معمورًا بمحبة اللَّه ورجائه وخوفه وقمت تصلي صليت صلاة زكية، وإذا كان قلبك فارغًا أو شبه فارغ من هذه الأحوال فإنك تؤدي صلاة خالية من الخشوع، فاحرص علىٰ إصلاح معتقدك وطويتك وسريرتك تأتي أعمالك بإذن اللَّه علىٰ أكمل صورة.

○ **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ثم يتقربون له بأداء فرائض اللَّه المتعلقة بحقه وحقوق عباده مع الإكثار من النوافل وبترك المحرمات والمنهيات تعبدًا للَّه تعالىٰ.

هذا مصداق ما قال ربنا ﷻ في الحديث القدسي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»[(١)]، فَأَحْكِمْ أيها المؤمن الفرائض أولاً قبل النوافل، ومن الناس من يعتني ببعض النوافل وقد ضيع الفرائض، تجده يعتني ببعض المستحبات أو التكميلات وقد فرط في أصول عظيمة، وهذا خطأ. علىٰ الإنسان أن يضبط ويحكم الفرائض أولاً، ثم بعد ذلك يتبعها بالنوافل، ولهذا أردف الجملة السابقة في الحديث بقوله: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ**

(١) تقدم تخريجه.

بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ»[١]، فالنوافل تأتي بعد الفرائض.

ونبه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن الفرائض ليست فقط متعلقة بحق اللَّه بل بحق اللَّه وحق عباده، فإن من الناس من يعتني بحق الخالق ويضيع حق المخلوقين، وهذا خطأ، وأيُّ خطأ، فإن حق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مبني علىٰ المسامحة والعفو، أما حقوق المخلوقين فمبنية علىٰ المُشَاحَّةِ والمطالبة، أتظن أن هذا الذي ظلمته بأخذ ماله أو بهتك عرضه إذا لقيته يوم القيامة سَيُسْقِطُ حقه؟ لا واللَّه، فإنه يتمنىٰ حسنة واحدة ينتزعها منك أو سيئة واحدة يطرحها عليك؛ لأنه يريد النجاة. فعلىٰ الإنسان أن يَسْلَمَ من حقوق المخلوقين.

لمَّا بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن هاديًا ومعلمًا وقاضيًا وجابيًا، قال له ثلاث جمل قال: «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[٢]، واحدة لربه، والثانية لنفسه، والثالثة للخلق.

«**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**» هذه للَّه.

«**وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، هذه لنفسه حتىٰ يُطَهِّرَ نفسه وينزهها عما شابها وعلق بها من شؤم السيئة، فإن (الإثم حواز القلوب) و(الحسنات يذهبن السيئات) «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»، هذه للخلق.



---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣)، والترمذي في كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في معاشرة الناس (١٩٨٧)، والدارمي في كتاب الرقاق ـ باب في حسن الخلق (٢٧٩١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

شروط قبول العمل

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعلمون أن اللَّه تعالىٰ لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه الكريم، مسلوكًا فيه طريق النبي الكريم.

ربنا عَزَّ وَجَلَّ طيب لا يقبل إلا طيبًا، قال في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[(١)].

الشرط الأول: الإخلاص.

والشرط الثاني: هو المتابعة للنبي ﷺ، بأن يسلك الإنسان في عبادته هدي النبي ﷺ، ولا يبتدع أمورًا من عند نفسه يظن أنها تقربه إلىٰ اللَّه، فإنها لا تزيده من اللَّه إلا بعدًا وهي ما تسمىٰ البدعة.

وقد عرف الإمام الشاطبي البدعة بقوله: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ[(٢)].

(طريقة في الدين)، إذًا هي تتعلق بالأمور الدينية لا بالأمور الدنيوية من المساكن والملابس والمراكب إلا ما كان للشرع فيه دخل.

(مخترعة) أي محدثة علىٰ غير مثال سابق.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ـ باب من أشرك في عمله غير اللَّه (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الاعتصام (١/ ٣٧).

(تضاهي الشرعية) أي تشابه الصفة الشرعية.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد للَّه سبحانه) فهي نوع من الغلو في الدين.

فعلىٰ الإنسان أن يحذر الابتداع في الدين، وأن يعلم أن اقتصادًا في اتباع خير من اجتهاد في ابتداع.

○ **ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

ويستعينون باللَّه تعالىٰ في سلوك هذه الطرق النافعة التي هي العلم النافع والعمل الصالح الموصل إلىٰ كل خير وفلاح وسعادة عاجلة وآجلة.

فالاستعانة باللَّه تعالىٰ نصف الأمر، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

إذا لم يكن عونٌ من اللَّه للفتىٰ ... فأول ما يجني عليه اجتهادُهُ

فلا تغتر يا طالب العلم، لا تغتر أيها المؤمن، أيها العابد، أيها الناسك، بما تجده في قلبك من إقبال ونشاط ورغبة؛ فإنه لا غنىٰ لك عن معونة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، استعن باللَّه عَزَّ وَجَلَّ في كل أمورك، قال نبينا ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ**»(١)، فلابد من الاستعانة باللَّه عَزَّ وَجَلَّ، خلافًا للقدرية والمعتزلة الذين أبطلوا الاستعانة، بدعوىٰ أن العبد يخلق فعل نفسه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر ـ باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ ختم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة النافعة بقوله:

والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ونسأل اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر للشيخ عبد الرَّحمٰن بن ناصر السعدي مغفرة واسعة، وأن يجمعنا وإياه في جنات النعيم، مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.



❁ المراجع ❁

١- اجتماع الجيوش الإسلامية
المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد اللّٰه المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.
٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي البُستي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي.
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٣- اختصاص القرآن بعوده إلىٰ الرَّحمٰن الرحيم
المؤلف: أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرَّحمٰن بن إسماعيل السعدي، تحقيق: عبد اللّٰه بن يوسف الجديع، الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٩.
٤- الإصابة في تمييز الصحابة
المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي. الناشر: دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢.
٥- الإصابة في تمييز الصحابة
المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل ـ بيروت.
٦- الاعتصام
المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ مصر

٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٥ ـ ١٩٩٧.
٨- البداية والنهاية
تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبد اللَّه عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر ـ الجيزة الطبعة: الأولىٰ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م.
٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.
تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الكتاب العربي. مكان النشر: لبنان/بيروت. سنة النشر: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٠- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه
المؤلف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرَّحمٰن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد.
١١- تعليق مختصر علىٰ كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد
المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
١٢- جامع البيان في تأويل القرآن
المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

١٣- جامع العلوم والحكم
المؤلف: أبو الفرج عبد الرَّحمٰن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ه.
١٤- جامع بيان العلم وفضله
المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.
١٥- جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، الناشر: دار العروبة ـ الكويت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط.
١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
١٧- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة
المؤلف: إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر دار الراية، سنة النشر ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، مكان النشر السعودية/الرياض.
١٨- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.
المؤلف: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرَّحمٰن، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٩- ذم التأويل
المؤلف: عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد اللَّه البدر، الناشر: الدار السلفية ـ الكويت. الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

٢٠- الرد علىٰ الجهمية
المؤلف: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبداللَّه البدر، الناشر: دار ابن الأثير ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
٢١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٢- السلسلة الصحيحة
المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف ـ الرياض.
٢٣- سنن ابن ماجه
المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبداللَّه القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (مع أحكام الألباني) الناشر: دار الفكر ـ بيروت.
٢٤- سنن سعيد بن منصور (التفسير)
المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، دار النشر: دار العصيمي مدينة النشر: الرياض سنة النشر: ١٤١٤، الطبعة: الأولىٰ.
٢٥- سير أعلام النبلاء
المؤلف: شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.
٢٦- شرح العقيدة الطحاوية
المؤلف: محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
٢٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة

المؤلف: هبة اللَّه بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.، الناشر: دار طيبة ـ الرياض، ١٤٠٢هـ.
٢٨- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية.
المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت.
٢٩- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)
المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.
٣٠- صحيح مسلم
المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٣١- الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، الناشر: دار العاصمة ـ الرياض،الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م. تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل اللَّه.
٣٢- الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل اللَّه، الناشر: دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٣- العلو للعلي الغفار
المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود الناشر: مكتبة أضواء السلف ـ الرياض،الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.

٣٤- فتح المغيث شرح ألفية الحديث
المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرَّحمٰن السخاوي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ
٣٥- الكفاية في علم الرواية
المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبداللَّه السورقي، إبراهيم حمدي المدني.
٣٦- لسان العرب
المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ.
٣٧- مجموع الفتاوىٰ
المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: أنور الباز ـ عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء.
٣٨- مختصر سيرة الرسول ﷺ
المؤلف: الإمام محمد بن عبد الوهاب، الطبعة: الأولىٰ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية.
٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللَّه، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٤٠- المستدرك علىٰ الصحيحين
المؤلف: محمد بن عبد اللَّه أبو عبد اللَّه الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤١- مصنف عبد الرزاق
المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرَّحمٰن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٢- المعجم الكبير
المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٤٣- معرفة الصحابة
المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ ابن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٤٤- منهاج السنة النبوية
المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٤٥- النبوات
المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٦- نهاية الأرب في فنون الأدب.
المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.



❁ المحتويات ❁